

محمد طاهر راجب اوى

ساده سانا أو تحقيق الحياه

لشاعر أفند وحكيمها

رابندرانااست تاجور

الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية

فهرس السكتاب

صفحة

٤	تقدمة للسكتاب السكبير الأستاذ عباس محمود العقاد
٩	كلمة المترجم
١٢	الانسان والكون
٣٤	الوعى الروحى
٥٦	مسألة الشر
٧٨	مسألة النفس
١٠٤	تحقيق الحياة فى الحب
١٣٠	تحقيق الحياة فى العمل
١٤٨	تحقيق الجمال
١٥٧	تحقيق الالهائى

مقدمة

بفلم دوستار الكبير عباس محمود العقاد

قرأت كتاب « سادهاانا » قبل خمس وعشرين سنة ،
وكنت عنه مقالا موجزاً قبل عشرين سنة . وما زلت منذ قراءته
أرجو أن تتاح لي الفرصة لترجمته إلى العربية ، أو أرجو أن أراه
منقولاً إليها أن فاتني أداء هذا الواجب ، لأنه كتاب لا يصح أن
تخلو منه مكتبة القارىء العربى فى هذا الزمان الذى طلت فيه
الحنة المادية على كل مكان

أما الاكتفاء بتلخيصه فلم يخطر لي على بال . لأنه من
الكتب التى لا يغنى فيها الجزء عن سائر الأجزاء ، ولا يسد
الافتقار منها سد التفاصيل والاستيعاب . ومما قلته حين كتبت
عنه فى ديسمبر سنة ١٩٢٦ — « أنى لست أريد أن أنقص
السادهاانا لأن الكتاب صلاة والصغوات لا يجوز فيها التلخيص
والإقتضاب ، ولست أريد أن أنقد آراءه لأن هذه الآراء إن
هى إلا زهرة روحية والزهرات لا تطيب على النقد والتحليل .
ولسكنى أدير سمع القارىء إلى نفحات من تلك الصلاة ، وألنى
بصره على منظر من تلك الزهرات وأرمى له إلى مدخل الحراب
أو ناحية الروضة ، وهو بعد ذلك وما يشاء من اكتفاء بما رأى
أو اتجه إلى طلب المزيد . . »

فالآن يسرني أن أحراب كله يقام في ساعة الائمة العربية،
وأن أبوابه تفتح لمن يلج منها إلى قدس أقداسها ، وأن هذه
المأثرة قد تمت على يدي صديقتنا الأستاذة الجبيلة ، التي بنطوي
على خير وطيبة يرشحانه لفتح أبواب هذا الحراب

وقد جاءت الترجمة في أواسطها وعند مسيس الحاجة اليها
لأن العصر الحاضر هو عصر التعاون الانساني على إلهام
الحياة الروحية ، وليس أولى من الشرق بالمشاركة في هذه الرسالة
وليس أولى من تاجور بالتعبير عن روح الشرق — أو روح الهند
خاصة — لتقريبها من عقول الأمم على اختلافها . لأنه هندي
غير محصور في حدود قومه ولا في حدود عقولته الموروثة . أو هو
« هندي عالمي » ر « شرقي إنساني » يحسن الخطاب ويصل
إلى قلب الانسان حيث كان

من أمثلة ذلك رأيه في معضلة الشر التي حارت فيها عقول
الحكام. وعالجها كل حكميم بما استطاع من بحث وإلهام
فقوم تاجور — سواء كانوا من البرهمنين أو البوذيين —
يقولون بوجود الشر في الحياة ولا يحاولون إنكاره أو التشكيك
في آلامه ومواقاته . واسكنهم يحملون معضلة بالذهاب إلى تناقض
الأرواح ، ويعتقدون أن هذا التناقض يمنع الظلم والتفاوت بين

الناس . لأنهم ينالون نصيباً واحداً من الصلاح والطهارة في مجموعة
الأطوار التي يمرون بها منذ نشأتهم في عالم الجسد إلى مرجعهم
آخر الأمر إلى مسكنة الأبرار

أما تاجور فانه يجعل للنفس عزاء آخر في هذه المعضلة برضاء
المؤمنون بتناسخ الأرواح والمفسكرون لهذه العقيدة من المتدينين
أو غير المتدينين . فيقول ان الشعور بالألم مزينة الشخصية الانسانية
لأن هذه الشخصية إذا كانت توافق ما حولها كل الموافقة فهي
مندجة في الطبيعة صائفة في أطوارها . وإذا كانت مستقلة عنها
فلن يتحقق هذا الاستقلال إلا بالاختلاف بين الانسان وما حوله
ومن هنا يأتي ما يؤله ويتنافس أهواءه ، ولولا لما تأتي له ما يرضيه
ويعطابق هواه

وعنده أن العناية الإلهية لم تسمح بالألم إلا وفد أعانت
النفس الانسانية عليه بقوة الحب . أو كما قال في بعض صلواته
وأناشيده : « كل من أعطيتك رايثك فقد أعطيتك القوة التي تعينه
على التهورض بها . فأنت تعطيه الحب ليقوى على مجرود خدمتك
واني من ثم لأشفاق من أعماق قلبي أن أنجو من الألم بالألم ،
وليس اشتياقي أن أبلغ الخلاص باجتباب الألم الذي هو هدية
من يدريك . . »

وليس معنى هذا أن الألم هو كل ثمرات الحب والمباداة
الروحية ، فإنه ليقول في أغنية أخرى . « ان الخلاص لا ينحصر
عنى في نكران الحياة . فأننى لاستمتع بمحلاوة الخلاص في قيود
الخبور التي ليس لها انتهاء »

ويشبه هذا المعنى ما قاله في السادهانا وجاءت ترجمته في
الصفحة الحادية والأربعين من هذا الكتاب حيث يقول : « لقد
حذرت من يستمعون إلى ، وأعيد تحذيرهم مرة أخرى من أن
ينخدعو بذلك الرأي الذي يقول أن معلمى الهند ومرشديهم
يشيرون إلى نيل الحياة والنفس حيث الفراغ والحياة السلبية .
تقد كان مقصدهم تحقيق الروح أو بمباراة أخرى الوصول إلى
الحياة بالمعنى الصحيح . وقد كان المسيح يعنى هذا حيث قال :
ما أسمع الودعاء فأنهم سيرثون الأرض . وأنه يعنى هذه الحقيقة
وهي أن الانسان حين يتخلص من كبريائه يصل إلى ميراثه الحق
وليس عليه أن يناضل بأكثر من هذا ليحتل مكانه في الحياة .
فالخلاص أمامه حيث سار بحق روحه الخالدة . . . »

فتاجور لا ينكر الحياة كما ينكرها نساك الهند المعرضون
عنها ، ولكنه ينكر الأنانية التي تنزل الانسان في العالم فتعطل
وجوده وتصيبه بقرى الوجدان يهون إلى جانبه فقر الفقراء في

الصوامع ، وحرمان الدراويش من الترف والمتاع
ومن شر ضروب الأنانية في رأيه أن تشكر الحياة لأننا
تشكر ما يصيبنا فيها من ألم . . . فأنا في غنى عن هذا الانكار
إذا تذكرنا الحب كما نذكر الألم . ومتى فقد كونا الحب خرجنا
من ضيق الأسر إلى باحة الحرية . وشعرنا بغيرنا وشعرنا بالعالم
من حولنا . فنهضت لنا «أرواحنا» وذواننا على أكل مثال
ولو أن تاجور تكلم بلغة الزهد والفناء كما تكلم نساك الهند
قديمًا لما أفاد

ولو أنه تكلم بلغة الأنانية والشقاق كما يتكلم دعاة المادية
الحديثة لما زاد شيئًا على ضجيج هذه الدعوة المادية ، وهي شر
من دعوة الزهد والفناء .

ولسكنه استخرج من روح الهند رسالة يقبلها من يحارون
بين الدعوتين . فقال ما يحسن به أن يقول في هذا الزمن ، بل
قال ما يحسن أن يسمع دون غيره في عهد التمازج بين بني الإنسان
على تقريب العقول وإطلاق الأرواح من أوهام الأثرة والطمع ،
وظفرت العربية على يد صديقنا الجليلي بنصيبها من هذه الرسالة
الشرقية الانسانية ، وهي أقرب إليها من جملة اللغات التي عرفت
هذا الكتاب

عباسي محمود العقاد

كلمة المترجم

كتاب سادهاانا نفحة من نفحات الشرق الزكية الطيب
للشرقة النور ، بعثها شاعر الهند وحكيمها رابندرانات تاجور من
روح الهند القديمة وحياة أنبيائها ومصلحيها . وقد خلع عليها صبغة
أجلدة من روحه فامتزجت الروحانيات والتحدث الحياتاني وخرجت
منهما روح واحدة وفكرة متحدة هي « سادهاانا »

وسادهاانا هي تحقيق المثل العليا في الحياة ، أي جعلها حقيقة
وتتحقق الحياة في الحب وهو سرور الانسانية وروحها . ولا ينبع
الروح هذه المرتبة إلا إذا اتحدت بسائر مافي الكون وانفصلت
عن النفس الذاتية التي تموقها برغباتها الشخصية عن الوصول الى
غايتها التي لا حد لها . واندبحت في برامها مصدر الخير والمروء

وتتحقق الحياة المثلى في العمل ، فالعمل هو المظهر الخارجي
للروح . والروح لا يستطيع أن تعيش على احساساتها الداخلية
فحب بل تعيش كذلك لأظهار مكنوناتها في العالم الخارجي ،
ولا يكون ذلك إلا بالعمل . والحق هو الوحدة التي تجمع بين الروح
في الداخل وفي الخارج ، في الباطن وفي الظاهر . وتجمع بينهما

وبين سائر مافي الكون ، حاضره وماضيه ومستقبله .
وليس هذا الكتاب من قبيل البحث الفلسفى أو القضاية
الكلامية فهذا ما لم يذهب اليه تاجور ولكنه فكرة عاشها المؤلف
وحلها ودرسها بالعمل . كما كان يفعل من تقدمه من الأنبياء
والمصالحين فى الهند . لذلك فهو لا يؤمن بالكلمة كما يؤمن بالفعل
ولا يؤمن بالعبارة قدر إيمانه بالفكرة .

وقد رأيت من واجبى وأنا أترجم هذا الكتاب أن أسير على
مذهب مؤلفه فقد قرأته وعشت فيه ثم بدأت ترجمته وأنا منشعب
بفكرته على . بروحه ولم أشأ أن أتقيد بقيود الألفاظ أو أقع تحت
أسرها فهذا ما يتنافى وروح الكتاب وتعاليم صاحبه وإن كنت قد
نقلت كل عبارة من عبارات الكتاب إلى ما يقابلها فى اللغة العربية
وتاجور معروف عند قراء الضاد ، فقد دارنا فى مصر والقى
فيها عدة محاضرات وكتبت عنه سائر الصحف والمجلات العربية
إلا أنه لا يفوتنى أن أذكر هنا أنه ولد فى كلكتا سنة ١٨٦١ وتلقى
درسه فيها وفى أوروبا واشتغل با دارة مزارع أبيه وبنظم الشعر
وأنشأ مدرسته النموذجية المشهورة فى بالبور من بلاد البنغال سنة
١٩٠١ وجعل كل همه أن يروج لها ويرفع من شأنها وقد طاف
بلاد أوروبا بلقى محاضراته وبقسر تعاليمه وتعاليم أسلافه وبشيد

بمعدله وجمع كثيراً من التمرعات لهذه المدرسة ومنح جائزة
بول في الأدب عام ١٩١٣ وسمح لقب سر سنة ١٩١٥
ومد كتب كثيراً من الأشعار والتمثيلات والقصص بالبنمالية
والانجليزية ومنها « حيتانجالي » و « الهلال » و « ملك الظلام »
و « البريد » « الوطن والعام » و « كتب » « ذكر يأتي » والقومية
ومات سنة ١٩٤١

ورأت من ثمة الباقه أن أشرح ما يدور من الكلمات
والإشارات التي تحتاج إلى شرح ولم أتعرض لبعض الكلمات التي
تنضج معانيها في سياق الكلام .

هذه كلمة وحيدة كتبها عن كتب هوفي الحق من أمهات
الكتب التي ظهرت في العالم بل أنه نوع مريد في بابه بين نراث
العكر الانساني وتركه لتقديم المكتاب لأستاذي وحديقي الكاتب
الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد . الذي كان أكبر عون لي على
تمام هذه الترجمة ، بما لا يقته من تشجيعه الذي كان بمثابة حقنة
في ابوريد لم تمض لحظات حتى تغفل أثرها في كياني ، وامتلأت
به دمي ، وما يرل بقاصي حتى انتهيت من ترجمة هذا الكتاب
فه الشكر في البدء والنهاية .

محمد طاهر البعوري

الانسان والكون

نشأت المدينة الأغريقية القديمة بين حدران المدمة ، وفي الواقع أن سائر المدينت الحديثة قد وجدت مهادها في الأجروالطين . إن هذه الجدران لطبع أثرها العميق على عقول بني الانسان ، حتى لقد شغلت بصائرنا بالمظرية القائلة فرق تسد ، فاعتدنا أن نحيط فتوحنا بالحصون ونحصل بعصا عن الآخر .

ونحن بهذا نحول بين أمة وأمة ، وبين ثقافة وثقافة ، وبين الانسان والطبيعة . وقد بما في نفوسنا شك في كل ما هو خارج عن الحدود التي أنشأناها بأبدسنا . وأصبح كل شئ في الحياة وهو يناضل جهده ليحتل مكانه من تقديرنا .

لقد كانت الهند أرضاً ذات غابات شاسعة ، حين دخلها أول قانع من الآريين . وسرعان ما انتعش بها الواغدون . فقد أمدتهم تلك الغابات : بالمأوى الذي يقبهم حرارة الشمس المهلكة والاحراش التي يتحصنون بها من العواصف الاستوائية الجاثمة ووجدوا بها مرعى لأغنامهم ووقوداً ليربهم المقدسة ، وتسررت لهم فيها الأداة التي يستخدمونها في بناء أكواحهم .

هو الوجود الشامل . وإن لبس في الحياة شيء مفرد بذاته .
وأيقن أن الطريق الوحيد للوصول إلى الحق هو أن تتلاشى وديقة
وتندمج في كل ماحولنا من المسكنات . وقد كن هم سكان
الغابة من حكماء الهدد الاقدمين أن يدركوا تلك وحدة الكبرى
التي تربط بين روح الانسان والعالم .

وجاء على تلك الثمات حين من الدهر فتحولت إلى حقول
مرروعة ، وظهرت على حوامها مدن ذات ثروة ، وقامت دول
كبيرة تتصل بسائر قوى العالم المظلم . ولكن قلب الهدد حتى
في تلك الأيام ذات الهدد لم يدمى ، كان يتطلع إلى الورداء على الدوام ،
متجهاً بحبه إلى تلك المثل القديمة ، التي تدعو إلى معرفة النفس
والى العرة التي يعرفها في حياة العادة البسيطة . ولقد استمد وحيه
الأعلى من حكمتها الخالدة .

وقد يرى الغرب من عوامل خدره أن ينقص الطبيعة كما
يخال ، كما أننا نحن نعيش في عالم عدولنا ون عيباً أن نعتصم
كل ما نريد من هذا العالم بحكم نظام غريب عما من دأبه أن
لا يوجد علينا شيء . ولقد نشأ هذا الشعور بحكم العادة والتفكير
الناشئين بين حدران المدينة . فالرجل الذي يعيش في المدينة

طبيعته يتخلع ذلك النور العميق الذى يحمل صورة فكيره على
حنانه وأعماله الخاصة . ومن ثم يمشأ اتصال مصططع بينه وبين
الطبيعة الشاملة التى يقيم بين أعضائها .

ولكن نظر المهندس كان يتجه إلى خلاف ذلك . فهو تنظر
إلى العالم والإنسان كعقيدة عظيمة واحدة ، ونصرف سائر اهتمام
إلى الوحدة القائمة بين الإنسان والكون . وقد أدركت أننا
لا نستطيع بحال من الأحوال أن نتصل بما حولنا إذا كنا بعيداً
عنا كل البعد . وإذا كانت شكوى الإنسان التى يوجهها إلى
الطبيعة ، هى أنه ينال كل حاجاته فى هذه الحياة بجهد ونصبه ،
فإنه لا يعرف أن جهده هذا لا يذهب سدى ، فهو يحرق بفضله بجداً
جديداً كل يوم . مما يدل على الصلة الممتدة التى بينه وبين
الطبيعة . فنحن لا نستطيع أن نجعل شيئاً ما ملكاً لنا إلا إذا
كان له اتصال وثيق بنا .

نستطيع أن ننظر إلى نهج واحد من وجهتين مختلفتين :
الأولى تفصل بيننا وبين ما نرغب فيه ، فسوف إليه ما نستطعن من
قوة ، لأنه لا ينال إلا بالقوة القاهرة .

والوجهة الثانية ترى أن هذا النهج هو الذى يصل بنا إلى

بقيتنا ، فهو جزء من الهدف الذي رمى اليه ، وعواصم السيريه
 نال ما ينيلنا من تلقاء نفسه ، وهذه الوجهة الأخيرة هي وجهة
 الهد نحو الطبيعة وعن طريقها نستطيع أن نقرر هذه الحقيقة
 انكبرى ، وهي أننا في وحدة مع الطبيعة وأن الأساس يكرر
 لأن أفكاره في اتحاد مع الأشياء ، وأنه يسخر قوى الطبيعة
 لأغراضه ، لأن قواه متحدة مع القوة الشمن ، وأغراضه هي الحياة
 لانساني وأغراض الطبيعة .

أما في الغرب فالرأي السائد هو أن الطبيعة ما كتبها شيء
 يبرى إلى الوحش والجماد . و يرون اتصالاً في الحياة لا يعادل له
 تبدأ هذه فكرة الطبيعة الانسانية . واعتقاداً على هذه الفكرة
 يعرفون كل ما هو وضع في ميران الخليفة إلى الطبيعة ، ويسبون
 كل شيء عليه طامع الصحة ، فكرر . كان أو اخلاقياً ، إلى
 الطبيعة الإنسانية . وأنهم في هذا كس يقسم الزهرة والدعم إلى
 نصيبين مختلفين ، ويمزوها إلى عنصرين متناقضين ! ولكن
 العقلية الحديثة لم تردد في معرفتها بالطبيعة وصلتها التي لا تنقطع
 بكل شيء في الوجود .

ولم تكن فكرة اتحاد الخليفة لديها من قديم لتأمل الفلسفي

وسكن ادراك هذه الوحدة الكبرى في الشعور والعمل كمن
موضوع حياتها . . . ما قائل والعبادة والحياة التي تحيها ، أتبع
لها أن تترى وجدانها بحيث أصبح لكل شيء معنى روحاني
لديها . فالأرض والصيب والقمح والأزهار ، لم تكن عندها
من قبيل الظواهر الحسية التي تستخدم ويمرث حاسا ، ولكنها
ترى أنها ضرورية للوصول بها الى غرضها الاسمي نحو السكك ،
كما أن كل نفقة في السقفوى ضرورية لإكمال لحظها .

لقد شعرت الهدم من الفطرة بأن هذا العالم يحمل معنى
حيويا لها ، وأن من واجبها أن تدرك تمام الإدراك ، وتحمل
بينها وبينه صلة من المعرفة ، غير مدفوعين في ذلك بدافع الوصول
الى أو شعاع النعمة المادية ، وإنما يجب عليها أن تدرك بروح
التجاوب النفسى ، مستشعرين في هذا الشعور لا يقدر من
الفرح والأمن .

يرى رجل اعلم أن العالم ليس هو كما يبدو لحواسنا ، ويعرف
أن الأرض والماء إنهما الاطواهر المرى مظهرها الأرض والماء .
ويرى الرجل الذى تمتنع عيونه الروحية أن الحقيقة في
أمر الأرض والماء هي معرفة للأرادة الأبدية التي تعمل على

الدوام ، وتتخذ مظهرا في تلك القوى التي ندركها من خلف هذه الظواهر ، وليس هذا من قبل المعرفة فحب مثل العلم ، ولكنه من قبيل معرفة الروح عن طريق الروح .

ولا يقودنا هذا المم إلى القوة كما يعمل العلم . ولكنه عندما بالسرور الذي يتولد عن اتحاد الأشياء المتعارضة والوشائج المتصلة إن الإنسان الذي لا يوصله معرفته بالعالم إلى ما هو أعمق مما يوصله إليه العلم ، يستحيل عليه أن يدرك ما يجده الرجل ذو النظرة الروحية في هذه المظاهر الطبيعية .

فإن الماء ليس في نظره ذلك الشيء الذي ينظف جسمه وحسب ، ولكنه يظهر قلبه ، لأنه يمس روحه . والأرض ليست ذلك الشيء الذي يتسكك جسمه لحسب ، ولكنها شيء يسر خاطره ، ههنا ما فوق الصلة الجسمية ، لأنها كانت هي

وإذا كان الإنسان لا يعرف حقيقته بالعالم الذي يعيش فيه ، هو إنما يعيش في سجن لا تمت جذوره إليه نسب . ويبحر إذا كان يلتقي بالروح الأبدية في كل شيء في الوجود ، إذ يهتدى إلى عظمة الحياة التي ولد بها في أنسج مراتبها . ومن ثم يجد نفسه

في الحقيقة الكاملة ويتم اتحادها بسائر الأشياء . ويولد الناس في
الهدى أن يحسوا بأنهم على اتصال وثيق بما يحيط بهم جسما وروحا .
وأنهم يحسون الشمس لمصبحة ، ولما المتدفق ، والأرض لثمرة
كظهر للحقيقة العاقبة التي تضمهم في أحضانها . لذلك فإن
(الحياة ترى) هي وردة ملات اليومية ، وهي مقطوعة من الشجر
تعد خلاصة أسرار ما في (العبداس ^(١)) وبالإستعانة بها يمكن بنا
أن ندرك الارتباط الجوهرى الذى بين العالم وبين روح الإنسان
الواعية . وعرف كيف نفهم الوحدة التي يصممها الروح الأبدى ،
ذلك الروح الذى قدرته تخلق الأرض والسماء والحيوم ، وتشتمل
عقولنا من نور من نوعى الذى ما يزال يتحرك ويثبت مع العالم
الخارجى بغير انقطاع .

وليس من الحق أن الهمس قد حاولت أن تفهم ، ففكرة
اختلاف قيم الأشياء المنوعة . لأنها تعرف أن ذلك من شأنه أن
يحمل الحياة أمرا مستحيلا ، ولم يكن ليغيب عن باها تفوق
الإنسان في ميزن الطبيعة . إلا أنه كان لها رأيها في حقيقة هذا
التفوق وما يشتمل عليه . وأنه لم يكن في قدرته على الامتلاك

(١) من الكتب الهندية المقدسة .

بل في قدرته على الاتحاد والامتزاج . من أجل هذا كانت الهند تختار "مأكها المقدسة" حيث تتجلى الطبيعة شيء من العظمة أو الجمال ، حتى يتيسر لمساكرها أن يذبح من عالم الضرورات البسيطة المحدودة ، ليدرك مكانه في اللاهوتية . مما جعل قبيلاً بأسره في الهند يصدون عن التغذي بالحيوان ، ليموا عاطفة التجارب الشامل في الحياة . وهذا حادث يريد في تاريخ الإنسان . وقد عرفت الهند أنها حين تطوع مختارين ففصل أنفسها بالحدود المادية والعقلية عن حياة الطبيعة التي لا تنهد وتجمد الإنسان اسماً فحسب لا اسماً في السكون . يُخلق في الحياة مشاكل معقدة ومسد الطرق أمام حياها ومن ثم يلوذ بالطرق الزائفة التي يصنع كل منها زكاً لا ينهي من المصاعب وكذلك حينما راس الإنسان مكانه المعبد في الطبيعة الشاملة وسار على جبل الانسانية الفرد . لم يكن أمامه إلا أن يرقص أو يسقط من خالق . وانه لحري أن يشهد على كل عصب من أعصابه شداً متواصلاً ليحفظ توازنه عند كل خطوة . فإذا جاءت فترة لراحته من هذا العناء الشاق ، لم يكن في وسعه إلا أن يسهط على العناية ، ويحس زهواً خفياً في جواب نفسه ورضاه . كما تصوران أسباب الحياة قد تجمعت للأساءه اليه .

إلا أن ذلك لا يظل إلى لأبد . والأسان لا بد أن يدرك
وجوده الشامل وجرم مكانه في اللانهاية وهو جدير بأن يعلم
أنه مهايجد وبشق لا يستطيع أن يشتار شهده داخل حلاليه
لأن حياته الداعة حرج حدرها . وأن الأسان إذا جعل حياته
يعمل عن سمات اللانهاية الحية الطاهرة وانقلب إلى نفسه يستمد
مها قوته وسنده ، يستعشها إلى درجة الحنون ويمزقها شر ممزق ،
ثم لا يلبث أن ياكل بعضه بعضا وإذا حرم الأسان مكانه في
ساحة الشمول فقد عودته ممته الكبرى وهى البساطة . وأصبح
رجسا وعارا وفقد ثراؤه صفة العراء وعند امرأه . وأصبحت
كهانياته وهى لا تخدم أغراض حياته لأنها توقوها عند غرضها .
تصبح حلاها هائيا في ذاتها ومن ثم تشعل النيران التى تحترق
بها حياتها وتعرف قيثارها على ضياء الحريق المسكهر الملون لذلك
فمنعق في تصيرنا عن النفس نحاول أن نسير لأن مجتذب وفي المن
نحاول أن بتدع ونمض الطرف عن مشهد الحق القديم الدائم
المتجدد . وقد أهملنا الأدب الصورة الشاملة للأسان البسيط
في عظته . وبدلا من أن يكون لأسان موضوعا نهسيا أو صورة
الوجدان الواسع بما فيه من الشدوذ ، أصبح وهو يبدو في وهج

نيران مفترقة اليب مصطعة الضياء . وإذا كان وهي الأسان
مقيداً بمصاقبته مباشرة لنفسه الانسانية معذب . فان حنور
طبيته التي هي أكثر عمقا لا تنجد أرضها الثابتة وما تزال روحه
على حافة المسغبة الى الأبد . فهو انما يقيم حلقات من التيهيج
ويضجها مكان الصحة والعافية . ومن ثم يفقد ادراكه الداخلي
ويغيب عقلته بحجبها لا بانصالحها الحيوي بالانهاية . ويحكم على
قواه بحركتها لا براحة الكمال ، تلك الراحة التي تتحلل في السموات
ذات النجوم ، وفي رقص الخليقة انوقع الأنعام في تدفق الذي لا ينقطع
كان فتح الهند الأول له شبيه بفتح الغزاة الأوربيين أمريكا
لقد وجدوا أنفسهم أمام غابات «طرية وكب» عليهم أن يواحدوا
قبائل غير معروفة . إلا أن هذا الكفاح بين الإنسان والإنسان ، وبين
الإنسان والطبيعة قد أخذ حده إلى النهاية ولم يمتد إلى مهبة . فقد أصبحت
هذه الغابات التي كان يسكنها قبائل الهنود في الهند معبداً بأو به
الحكماء . أما في أمريكا فان هذه الغابات الطبيعية العظيمة الحية
لم يكن لها شأن كبير في نفس الإنسان ، وإن كانت قد عاضت عليه
بالتروية والقوة . وربما كانت وسيلة لأتباعه بالجمال في بعض الأحيان
أو ملها ألهمت شاعراً حتى الوجدان ولكن لم تكن لها عندهم

ذلك الامتزاج المقدس بقلوب الناس باعتبارها مقراً للتوحيات
الروحية الكبرى ، حيث تجتمع روح الانسان بروح العالم .

اننى لا اود ولو لحظة واحدة - ان اُشير بتغييره - هذا الوصف
فمن ضياع الفرس ان يكرر التدرج في كل مكان على نظام
واحد ومن امح الوسائل في تمارة الروح تقدم الشعوب المختلفة
الموقع ، شتى نتائجها في سوق الانسانية ، حتى يضم كل صنف
الآخر ويقوم بسد حاجته .. وكل ما اريد ان اقول : ان الهند
في بدء حياتها ، قد التفت بحث هذه الطرود وبصحتها لم يكن
مديرها لديها الصياع . فقد استطاعت بحكم ظروفها ان تفكر
وتروى وتجد ونحت - ل الآلام ، وامكنها ان تنفس في أعماق
الوجود : وستكشف أمراً لا شك ان قسمة لم تكن لتعرف عدد
الشعوب التي انحدت لنفسها سبيلاً في التاريخ مختلف عن سبيلها ،
كن الاختلاف ، ان الانسان يحتاج لتمام نموه الى سائر العصور
التي تتكون منها حياته المركبة ، لذلك فان طعامه يزرع في شتى
الحقول ، ويحلب من مختلف المباح .

وما أشبه المدينة نقاب نمدته كل أمة لتصوع فيه رجالها
وساها على أحسن وجه تريده . وان سائر أنظمتها وشرائعها

وما نستعنه وما نخفته وما تعيه وما لاتعيه يطبع هذا القالب
وتحاور المدنية الحديثة في الغرب سائر ما لديها من الحدود المنظمة
أن تصل بأمتدائها نحو الكمال بالكفاية المادية والعقلية والخلقية .
وبصرف جل نشاط هذه الأمم إلى بسط نفوذ الإنسان على
كل ما يحيط به ، ويدل الناس كل ما لديهم من قوة ليحصلوا في
حوزتهم كل ما يستطيعون أن يضعوا أيديهم عليه . ليتعلموا على
سائر المراتب التي تفق في طريقهم إلى الظاهر . وأنهم ليكرسون
حياتهم لمكافحة الطامة والنخل على الشعوب الأخرى . وإن
أسلحتهم ازداد عظمة ، وتكاثر آلاتهم وأجهزتهم وأظلمتهم
إلى درجة تدعو إلى الإعجاب . هذا قدم عظيم ولا شك . ومظهر
عجيب ينم عن مقدرة الإنسان التي لا يوصف ، عانى تلك القدرة
التي تهدف إلى فرض سلطوته على كل ما عداه

أما مدنية الهند القديمة فلها مثلها الأعلى الذي تنصرف إليه
جهودها . فلم يكن من همها الوصول إلى القوة . فقد أهملت تربية
قواها إلى أقصى حد . ولم تكن بتدرب رجالها على أغراض الدفاع
والهجوم يتصوروا على مطالب الثروة ، ويبدعوا السيادة في الحرب
والسياسة .

وقد قاد مثل الهند الذي حاولت تحقيقه حيرة رجالها إلى حياة
فكرية متعرجة . وكلفتها تلك الفخائر التي اكتسبتها للاسبانية
توغلها في أعماق الحقيقة وجماعها كثيراً في ميدان التصالح المملو
إلا أن عملها هذا مع ذلك ربح عظيم ، فقد كان مظهر كميئراً
لذلك الطاموح الأبى لدى لا يعرف له حداً ، ولا يجعل نصب
عينه أقل من تحقيق ما لا يدركه الهند .

أما كان للهند فصلاتها وحكموها وشعبانها ، وكان فيها
رجال اسبابه والملوك والأماطرة ، وسكن من هم الذين حثرتهم
بين هذه الطائفت .

إنهم طبقة (الريشز) ^(١) ومن هؤلاء (ريشز) هم الذين
وصلوا إلى الروح السكرى المعرفة واعتلت نفوسهم بحكمه ،
وانحدوا الاتحاد التام «مس الباطنة أذراؤه في وحدة مع الروح
وقد تحرروا من الترعات الدامية ، لأنهم وحدوه في القلب . ونالوا
لدعة لأنهم رأوه في صائر قوى العالم . والريشز هم الذين بوصولهم
إلى الله تعالى من كل جانب وحدوا استقرار السلام وانحدوا بكل
ما في الوجود وولوا حياة المكون .

وهكذا فإن تحقيقاً تلك الصلة التي تربطنا بكل ما في

(١) طائفة من المحدثين في الهند .

الوجود ، وتوغلنا في صميم كل شيء . بانحدادنا بالله ، كان يستمر في
الهدى العلية الفهوى والكمال الذى تصور اليه الإنسانية .

ان الإنسان يستطيع أن يدمر وينهب ، ويستطيع أن يكسب
ويجمع ويخترع ويستكشف . ولكنه لا يبدع عطياً إلا لأن روحه
تدرك كل شيء . وأشد الدمار الذى يحل بالإنسان ، يحل به
إذا كان يضع روحه في خلاف ميت من أساتذة المتحجرة
وتحيط به الأعمال كالأعصار الماصف الذى يدبعاوه أجواز
القضاء . لا شك أن هذا من شأنه أن يقضي على روح وجوده في
صميمها . وهى الروح المدركة .

ان الإنسان في حقيقته لم يكن عبداً رفا لنفسه ولا للعالم ،
ولكنه يحب . يبالى حريته وكأله في حبه وهو اسم مرادف
للادراك التام . هذه القدرة على الادراك ، وهذا التوغل في وجوده
يمثل بالروح التى تشمل كل شيء . في الوجود ، وهى كذلك
منفرد روحه . وحينما حاول الإنسان أن يرفع نفسه إلى قمة الشهرة
يدفع من عذاه ومده كى ينال صفة يعاير بها كل إنسان ، ينفصل
عن هذه الروح . من أجل هذا نجد أن (الابدشاش)^(١) يصف

(١) من كتب الهدى المأرسة تشبه النون في العليقة ونحوه على
أكثر المناهج الفلسفية .

أولئك الذين أدركوا هدف الحياة الانسانية «أهم» آمنون «
وأهم» في وحدة مع الله « ويعي أنهم في الامتحان نام مع
الانسان والطبيعة فهم في وحدة لا تنقسم بالله .

ومجد لنا من هداى تعاليم المسيح حيث يقول إن ولوج الجبل
في سم الخياط أسهل من دخول القى ملكة السماء وسهم من هذا
أن كل دجيرة نجعلها لأنفسنا تعصا عن غيرها ، وأن متاعنا الذى
علكه انما هو حدف . ومن يتكالب على جمع الثروات تغلب
عليه ذاتيته على الدرام ، فلا يستطيع أن يلج الأبواب الى توى
الى ادرك العالم الروحى ، وهو عالم الاسرار والتوافق الصحيح
ويظل محسوسا في حدود المطالب المادية الضيقة

لذلك كانت الروح الظاهرة في تعاليم الاشدهى : إذا
أردت أن تجده . ومايت أن نخفض كل شيء . وأدب بالسعى
وراء المدة نترك كل شيء عن ثقة لتعال الشيء البسير ، وليس هذا
بالطريق الذى وصلنا اليه . وأنه هو الكمال .

بصر بعض العلامة المحدثين وهم مدبنون للأفئاد عن
طريق مباشر أو غير مباشر غير مدركين هذا الدرس - على
أن ديانة زهم انما هى شيء سالى ، أى أنها انكار لكل ما
العالم . وبعبارة أخرى أن الكائن الالهائى ليس له وجود عندما

على الاطلاق الا في عالم ما وراء الطبيعة . . . قد يكون هذا صحيحا
 فيما يتعلق بسنخ من آساء وطينا . ولكن لما لاشك فيه انه
 لا ينطق على الروح الصامة للعقلية الحديثة فهي على التبع من
 ذلك ، اذ ان وحيها الصحيح هو تحقيق الالهاني وتوكيده في
 سائر الاشياء . فحين يدرنا ان نرى « ان كل ما في الحياة في
 كشف الله » « اني انجي الله الذي تتجلى في النار والماء ، ويتفعل
 في سائر ما في العالم ، ويظهر في الحيوان كما يبدو في الذات »
 فيصح ان يقال ان هذا الاله متصل عن العالم ؟ ان الامر على
 عكس هذا فمن لا يحس عظمتة في كل شيء فحسب ، بل آساء
 فحيه في كل ما في الحياة من اشياء . وان نظرة الانسان الذي
 يعي الله نحو الكون كما يصعب الانشاد ، تدل على شعور الحقبة
 العميق . ان موضوع عبادته حاضر في كل مكان . وهو حقيقة
 الحياة التي تؤكد مائر الحقائق . ويست هذه الحقيقة من قبل
 المعرفة فحسب بل هي نوع من العبادات وانما للمعنى احلالا
 للموتى ، ثم نمحي ونمحي اليه . وانه ليحس قول « الرأش »
 وهو يحاطب اعالم اجمع في تلك العاطفة المعمة بالسرور بقوله :
 « اصفوا الى يا آساء الروح الأبي ، يا من تسكنون السموات ،
 لقد عرفت الكائن الأعلى الذي يتألق بوره في الظلام » الامجد

في ذلك المبهجة الغامرة الصادرة عن معرفة إيجابية مباشرة لاشوبها
شاة من الباطل أو الثمور السلبي

ويعطينا بهذا مثل ذلك . وأنه هو الذي نشر الانشاد في
حياته العملية . بقوله : « وفي كل شيء فوقنا ، ونحتنا ، بعيداً
عنا أو قريباً منا ظاهراً أو باطناً سنرى صلة الحب الذي لا يحد
ولا كراهة ولا رغبة في القتل . فإذا كنت تعيش في مثل هذا
الوعي وانت واقف وحائس أو راقد على جنبك حتى تنام
وتنت « راها فيهارا » أو بصارة أخرى تعيش ونسعى وتقال
مسرقتك في روح راها^(١) .

وما هي تلك الروح ؟ تقول الانشاد : ان الكائن الذي في
في جوهره نور الجميع وحياتهم ، الذي يعي العالم ، هو راها ،
شعورك بكل شيء ، ووعيك كل شيء ، انه هو روحه . ونحن
نتمس في وعيه حسماً وروحاً . وفي وعيه نحبذ السماء الأرض ،
وفي وعيه تنقل أمواج الصياء من كوكب إلى كوكب .

هذا الضياء وهذه الروح وذلك الكائن الشاعر بكل شيء
ليس مقره المكان فحسب واسكنه في روحنا كذلك . فهو وعي

(١) التالوث المقدس للبراهمة هو : راها ، إيشي ، وسبقا .

شامل في المكان أو العالم الخارجى ، ووعى شامل في الروح :
أو العالم الداخلى .

بذلك فحين إذا أردنا أن نعمل في وعينا العالمى ، وحبسها
أن نربط شعورنا بذلك الشعور اللامهى فى الشمل . وفى الواقع
أن التقدم الإنسانى الصحيح الذى لا تقدم هذه ينجم إلى هذا
النحو من اتساع الشعور . وأن شعورنا وقناعتنا ودياننا بعمل
جميعها على اتساع نطاق وعينا إلى أقصى وأوسع الحدود . أن
الإنسان لا يطلب حقوقا ، قدر ما يحتل من مكان ، ولا عمالة من
الحلق الطاهر . ولكن حقوقه تنفس قدر ما فيه من حقيقة ،
وحقيقته إنما تقاس بما فيه من وعى .

ومما يكن الأمر طان علينا أن ندفع ثمنا بخرقة وعينا
فما هذا الثمن ؟ الثمن هو أن ندعى أنفسنا . فإن روحنا
لا تحقق نفسها إلا بالنكدر الذات . ويقول الأستاذ : « إنك ستجنى
كل ما تريد بأعطائك مما تريد . وسوف لا تعقد شيئا . وننصحنا
« الجيتا » أن مجرد أنفسنا من المرض ونحن نعمل ، ونصد عن
كل حشع في سبيل النتيجة . وعلمهم « نحن الخارجين عما من هذه
الاصحاح أن العقيدة التى تشير إلى أن الحياة شيء باطل إنما أشأت

في حذر ما يسمى الخلو من أمراض في عذاب المهد . ولكن
الأمر على نقيض ذلك .

أن من يحمل هذه تعظيم نفسه ، يحقر كل شيء آخر
ويرى أن قمة العالم ليس شئاً مذكوراً بالنسبة إليه لذلك فإن
الإنسان إذا أراد أن يكون كامل الوهي للحقيقة السكينة في كل
شيء ، وجب عليه أن يتحرر من قيود الأهواء الشخصية وعليه
أن يحمل رائده هذا المسلك ، وهو بعد عنه اللواجبات الاجتماعية .
ويسمح في حال أعيا ، نبي رحمة . وكل محاولة ترمي إلى توسيع
نطاق حياتنا تتطلب من الإنسان أن يريح عايبه ، وأن
لا يكون شرها ، وذلك بفشروعي ارباط الإنسان بإثر جهود
لانسابة بالتدرج .

لم يكن اللاسماني في عهد من قبيل الهنات البسيطة ، ولم يكن
خالياً من كل شيء . فالطائفة « الريشر » في المهد يؤكدون
في ثقة « أسايد » معرفة في هذه الحياة تعرف الحياة الحقة ، ولن
تكون معرفتنا الله موتاً مبدأ ، فكيف بمعرفة إبن ، نعرفه في كل
شخص ونعرفه في الجميع ، فلا يصح أن نعرفه في الطبيعة بحسب
بل في الأسرة والمجتمع والأدارة ، وبغفدر عايدرك من هذا الوعي

العالمى الشامل لكل شيء تكون فائدة منه ، فإذا عجزنا عن
ادراك ذلك ، لنحبها بأحسنه، نحو الدمار .

إن نفسى انعمم بالسرور وتعالى ، بالأمل فى مستقبل الاسباب
حين أرى أبنائنا الثمرات فى المصور العابرة ، كانوا يحلون تحت
أشعة الشمس المحرقة فى مياه الهند ، يحبون الدنيا بسرور الأفراس
تقهرهم . لم تكن هذه التحية من قبيل التهور اللذيق ، ولا
من قبيل رؤية الانسان فى كل مكان متمثلا فى صورة كبيرة
مبالغ فى تقديرها . أو مشاهدة قصة الاسباب تشر فى مشهد كبير
بقاء الطبيعة التى ترفرف عليها الأوار والاطلاق ولكن الأمر
على التقيص فأنا كان يقصد من ذلك أى احتراق حدود الفرد ،
حتى يكون أكثر من انسان ، ويكون اسما متصلا بكل ما فى
الوجود . لم يكن هذا لما من تصورات الخيال . وإنما تحرير
الوعى من سائر الممرض والمادة العسية فقد أحس أولئك
الرسائل الأقدمون فى أعماق عقولهم المادنة ، من القوى التى تنشر
وتنمى أثر أوضاع الحياة ، بهت وعيا فى كيانه الباطن ، ثم
لا تعجز صراها فى نظرة هؤلاء المرسل نحو الكمال لم تكن
تعرضها أية شعرة وهى تنال بالأوار . حتى الموت نفسه لم يمتقدوا

على الاخلاق أنه يوجد فتحة في ميدان الحقيقة وانهم يدعون
« انه رى في الموت كاري في مخلود » ولم يجدوا في شئ من جوهرى
بين الحياة والموت . فقد قالوا في ثقة رتوكيد ، أن الحياة والموت
شئ واحد ، فحبوا الحياة بذلك السرور الهادى ، في حالة الاثاق
وحالة ازواج ، وكن ما كان في الحياة وكل ما سيكون « وقد عرفوا
أن مجرد الظهور والاحتفاء في الحياة أشبه بالأمواج على سطح البحر
والكن الحياة - لدة لا تعرف الا بخطط ولا القمصان .

« أن كل شئ ، قد انشقق من الحياة الأبدية ونشأ في الحياة
لأن الحياة واسعة » ذلك لئلا الأعلى الذى يدعو الى حرية الوعى
لعليا ١٤١ هـ مرث كرم عن آبائنا الأقدمين ، ينتظروا لدعبيه
لأنه لم يكن من قبل التكبير أو الماطفة قال له أسد
أحلامية ، ويجب أن يترجم الى لغة العمل ، ويقال فى الانشاد
« ان الكائن الأسمى يشتمل على كل شئ » في الوجود « هو اخير
العصرى المستعمرى كل شئ » ، ون جوهر الخبير هو الارتباط
الصحيح فى المعرفة والحب والعبادة بسائر المخلوقات ، والوصول
من ذلك الى تحقيق انفس فى الله الذى يشتمل كل شئ ، وهذا
مفتاح قول الانشاد « الحياة واسعة » .

الوعى الروحي

كان هم الهند القديمة أن تمش وتعمل وتستوحى مسراتها من براهما الروح البقطة دواما الشاملة لكل شيء . ومن ثم يتسع وعيها حتى يشمل احكام اجمع وقد سدوا هذا امر بعيد عن التحقيق . إذ أن اتسع هذا الوعى إذا كان مرجعه كل ما هو خارج عن نفوسنا سيكون شيئاً لا يدركه الخصر . وما أشبه ما هو هذا عن يحاول أن يدير المحيط . إذ أن يتبعه فيه من ماء . ومن يريد أن يدرك كل شيء ينتهى لا محالة إلى أنه لا يدرك شيئاً على الاطلاق .

واسكن الأمر في لواقع ليس من الاستحالة . فقد ما سدوا . إن الإنسان ليسعى كل يوم لا محالة حتى لا يتسع دائرة معرفته . ويسأل عن وسيلة للاح ما يموء به من أعباء . إن أعباء لفادحة وأنما لا أكثر مما يحتمل . إلا أنه يعرف أن في مقدوره أن يخفف عن كاهله حال تلك الأعباء بوضع دستور لائمه . فإذا كانت سدو معقدة ومحيرة منه ليعرف أن هذا إنما كان لأنه لم يهتد إلى الدستور الذى يضع كل شيء في موضعه و يحرف عنه ثقل هذه الأعباء .

والسؤال عن المستور هو في الواقع سؤال من وحدة : هو أن نحاول توحيد كل المتعددة الخارجة بعلاج من الداخل وسوف يدرك أن الوصول إلى شيء واحد يحتمل في متناول، صائر الأشياء . هذه في الحقيقة غاية ما يدرك من ربح وأمنى ما يصل إليه من العايات .

أن هذه الوحدة نعوم عليها قوسا التي لا تنهد ، لأن مبدأها الحى قوة الحقيقة . حقيقة الوحدة التي تشمل شتى الأحداث والأعمال . فالأحداث كثيرة والحق واحد والحيوان مذكاته ، درك الأحداث . والحقائق لا يدركها غير عقل الإنسان ترى الصخرة تسقط من الشجرة ، والمطر ينزل على لأرض تشغل الكرة بأمثال هذه الأحداث ولا تصل إلى نهاية . ولستك إذا عرفت قانون الحاذية لاتحد بك حاجة إلى جمع لأتت تكون قد وصلت إلى حقيقة وحدة تطوى تحتها الأحداث المتعددة . وفي الوصول إلى هذه الحقيقة سرور كبير للإنسان لأنها ولا شك تحرير لمكره . والحادث المحرر كالهرب المصل لا يؤدي إلا إلى عسه ، ولا يؤدي إلى شيء سواء . أما الحقيقة فإنها تمنح أمام أعيننا أمقا كاملا . وتقودنا إلى اللاهية . من أجل هذا يرى أن رجلا مثل داروين حين يصل إلى بعض

الحقائق العامة البسيطة في علم الحياة لا يقف استكشافه عند هذا الحد ، ولكنه يكون دائما صياح الذي يرسل أخصوانه إلى مسافات بعيدة عن الله كان الذي أوتد لأحياه إياه بشر ضيائه في نطاق الحياة الإنسانية والفكرية جميعا متخطيا المطاق الذي أوتد به وهكذا نرى أن الحقيقة وهي تكشف في ظلها سائر الحوادث لا تكون قد جمعتها في - ولكنها تتخطاها من سائر النواحي إلى تلك الحقيقة التي لا حدود لها .

وإن نوعي الروحي في هذا شأن العلم ، فلا بد للأساس أن يدرك حقيقة رئيسية تفوده إلى اكتمال يصل إليه من المعرفة . وهذا ما يشير إليه الانشاد في قوله « أعرف بمسئتي » أو عبارة أخرى أعرف مبدأ ، الوحدة الأسمى الذي في كل شأن إن دواعيا الذاتية وبوارعنا الشخصية نحكي وراءها حقيقة روحنا ، وما تظهر منها غير تلك النفس المحدودة . ونحن إذ ندرك روحنا ندرك الكائن الدائن الذي يسمو على أشخاصنا ويتصل به له العميق بكل شيء في الوجود

إن الأطفال لا يحدون في سرور وهم يبدعون في تعلم الحروف الالهية ، لأنهم لا يدركون المرحس الأول الذي من أجله يتلقون هذا الدرس . ونحن إذ ننظر إلى هذه الحروف منفردة يبالا المنصب

ولسكنها تصيح بدبوعا لمرورنا حين نقاف من، كالت وجل
وتحمل في طيها فكرة مصيبة

وكذلك روحنا لها، فقد عظمها إذ سجلت في حدود
الانس الحقيقة بان حورها، الصميم هو هذه الوحدة، ولها
تستطيع أن تصل عن طريقها إلى الحقيقة التي تجمع بين
غيرها من الأشياء وهما هذه سرورها.

لقد عانى الانسان كثيراً وعاش في عالم المخاوف ودحا من
الزمن قبل ان يهتدى إلى فكرة اتحاده بقوى الطبيعة، وكانت
الدينا شيئاً غريباً عنه حتى ذلك الزمن. وما ذلك القانون الذي
استكشفه سوى إدراك تلك الوحدة التي تربط بين العقل الذي
هو روح الانسان ومركز امور الحياة

هذا هو وثق وحدة الذي وصل بينه وبين العالم الذي يعيش
فيه، به يعرف عنه في محيطه، اننا إذا وصلنا إلى إدراك شيء
من الأشياء، فبني هذا اننا نجد فيه شأنا، ويدشأ سرورنا به،
لأننا نرى انفسنا فيها هو خارج عنها إلا ان هذه الصلة صلة الإدراك
امر حزني. اما الصلات السكاملة فهي حالات الحب، هي الحب
يتلاشى كل شعور بالاحتساب، وتنصرف الروح إلى عرضها

الأسنى نحو الكمال ، متخطية حدودها إلى اللامهابة .

فالجب إذن هو اسمى ما يصل إليه الإنسان من سعادة وفيه وحده يستطيع أن يعرف معرفة قامة ، أنه شيء أكثر من نفسه وأنه في وحدة مع سائر الوجود

إن فكرة هذه الوحدة التي تتمثل في روح الإنسان تبقى حية على الدوام ، وسدور وشائجها المديدة المدى في الأدب والفن والعلم والمجتمع والسياسة والدين وإن رسالها العظيمة هم الدين يفسرون معنى الروح أحسن تفسير ، بتضحياتهم النفس في سبيل سعادة نبي الإنسان . وأهم ليتحملون الوشايات والأصطهاد والحرمان في سبيل الحب ، وهم يحبون حياة الروح لا حياة النفس . ويررون لأعيننا الحقيقة الأساسية في اسمى مرتبتها . وندعو هؤلاء باسم «مهاجرات» أي ذوي الأرواح الكبرى .

يقال في « لافشاد » أنك لأنحب ولدك لأنت تريد ، ولكنك تحبه لأنت تحب روحك ومعنى هذا أنا ترى أمنا في اسمى مرتبتها فيمن محبهم . وفي هذا غاية الحب في أمر وجودنا .

إن الروح الأعنى «أرامانا» كاش في نفسى كما هو في ولدى ، وأن سرورى به هو مظهر تلك الحقيقة . ومن البدائنه المظلومة ،

ما سر سرور من محبهم ومآلم لألمهم على ما في ذلك من القرامة
عدد ايمان التفكير فيه . لم كان هذا ؟ هذا لأن ، كبير وجودهم
ونفس تلك الحكمة الباقية التي تشمل سائر الكون .

كثيراً ما يمنعنا حين لأحلم لنا وأصدفاننا أو غيرهم من محبهم من
أن نصل إلى أعمدى لأدراك روحنا ، ولكن عمالاً شك وفيه أن
هذا الحب يريد في دائرة وعيننا ، وروضع هذا لأنفسنا ما يمكن أن
نصل إليه هذا الوعي في حرية متداده . وهو على أي حال بمدى
الخطوة الأولى والمصل كل المصل في تلك الخطوة بذاتها فهي ترسنا
الحقيقة التي تجلو عن طبيعة روحنا ، ومنها نعرف بأن أنفسنا ما نفعه
من العادة تناله بفقد ذاتيتنا واتحادنا من سوادا ومهبها هذا الحب
قوة جديدة وإدراكا ورحملا في التفكير إلى الحدود التي نقيمها من
حولنا . ونعتنع عن اداء ذلك ، ذاتت هذه الحدود مروضها
ووقفت أمام روح الحب بصفة عامة . فهما تصبح صداقتنا عمتا
وتعدو روابطنا العائلية نانية ونحسلا وتمشي بين الأمم روح
العصاة . وما اشهدنا في هذا شعلة الصياء التي محسها في أنية
محكمة الاغلاق ، لا نلتصع إلا رينها تحسها الغازات السامة ثم تنطفيء
وان كانت قد أثبتت وجودها قبل أن نحمد وبهشت في أنفسنا
مرحة بالخلاص من قصة الظلام النفس الأحارب البارد .

وتذهب الأشداد إلى أن مفتاح الوعي الأعلى ، ووعي الله هو ووعي الروح . فأول خطوة نخطوها نحو تحقيق الخلاص الأسمى هي أن نعرف . وفتين أننا روح في جوهرنا الحقيقي ، ونصل إلى ذلك ببيادتنا على النفس نرفع عنها كل كبرياء وشره وكل خوف وفلك بأن نعرف أن ما نحسره من متاع الحياة وما ينالنا من الموت المادي لن نبال حقيقة روحنا وعظمتها . أن التفرخ يعرف حين يخرج من بيضته التي امرد فيها بنفسه ، وأن تلك القشرة اليابسة التي اشتملته بعض الزمن لم تكن هي الحقيقة جزءاً من حياته . أن هي إلا شيء ميت لا عمله ولا تأثير على العالم الذي يابها ، وكما كان كمال روائها ومغزى استدارتها . ولابد أن تكبره بعث ما فيها وظلم الضياء والهواء في حرية كاملة ثم يتم الغرض المقصود من حياة الطائر في اللغة السفسكرينية يسود الطائر ذي الولايتين . وكذلك الإنسان الذي يجتاز حقل نظم كبح النفس والتفكير العاني اثني عشر عاماً على أقل تقدير ، ويثأ على خلق البساطة في مطاينه ونقاء القلب والتهبؤ بحمل مسئوليات الحياة مع اتساع في الروح لا يشوبه العرض بعدائه قد ودمرة ثانية وبعث من ظلام الغشاء المعسى إلى حرية الحياة الروحية . ويصبح في

صلة حبة بما يحيط به . ويصير واحداً مستجيباً مع كل ما في الوجود .

لقد حدثت من يستمعون إلى ، وأعيد تحذيرهم مرة أخرى من أن يتخذوا بذلك الرأي الذي يقول إن معلم الهندوس لديهم يشيرون إلى بيد الحياة والنفس حيث الفراغ والحياة السلبية . فقد كان مقصدهم تحقيق الروح أو بعسارة أخرى الوصول إلى الحياة ، المعنى الصحيح . وقد كان المسيح يعنى هذا حيث قال « من أسعد أودعاء منهم سيرثون الأرض » وإنه ليعنى هذه الحقيقة وهي أن الإنسان حين يتحدث من كبريائه يصل إلى ميراثه الحق . وليس عليه أن يماح أن يأكثر من هذا ليجتثل مسكاته في الحياة . والخلاص أمامه حيث سار لتحقيق روحه الخالده إلا أن كبرياء النفس هي التي تدخل في وطيدة الروح الصحيحة وهي تحقيق مساهمة قد الأواصر بينها وبين العالم وبينها وبين إله العالم

يقول بودا في خطابه لساكني سيمعدا ، صحيح يا سمعدا أي أنفت لتوى وإمكن القوى التي تقود إلى الشر في الكلمات والامكار والاعمال . صحيح يا سمعدا أني أدعو إلى الهدوء وبكن قياء الكبرياء والشهوة وأفكار السوء والجهل لا الهدوء في النفس والحب والإحسان والحق .

إن مذهب الخلاص الذي يدعو اليه رايها هو الخلاص من
أقيديا ، وأقيديا هي الجهل الذي يصعد روعينا ويصعد في حدود
نفسنا الذاتية . وهذا الجهل أقيديا ، هذا التعديد لوعينا هو الذي
يخلق الأغصان الداني العنيف ، فتصبح النفس مبعأ لساكن الكربة
والشهوة والقسوة الصادرة عن البحث وراء الذات . إن الإنسان
حين يسام يظل في سجن قواه المادية الضعيفة فهو يحس واسمه
لا يعرف علاقات حياته المختلفة بما يحيط به . ولذلك فهو لا يعرف
نفسه . ولإنسان الذي يحيا حياة الجهل «أقيديا» يعيش منطوي ياتي
طلمات منه . فهو في رقاد روحي . ووعيه لا يتيقظ لأسمى
ما يحيط به من الحقائق ولا يعرف حقيقة روحه . فادواص إلى
يردهي . التيقظ من رقود النفس وانتقل إلى الوعي اتمام يصح
ردا .

قامت ذات يوم رجلين من السالك الذين يتسمون إلى إحدى
الديارات ، في قرية من قرى البعل وسألتهما ، هل تستطيعان أن
تدلاني إلى الصفات الخاصة التي تنسم بها ذاتكم . فتردد أحدهما
لحظة ثم قال إن من الصعب أن نحدد لك ذلك . وقال الآخر ،
كلا إن الأمر حيد بسيط وأول ما يجب علينا أن نعرفه . هو أن

نعرف روحنا بأرشاد معلمنا الروحي فأدركنا أنهما من ذلك أصيد
من السهل علينا أن نجد هوى ، أي الروح العليا التي في أعماق
نفوسنا . فمت وماذا لا نعلم مذهبك هذا لسائر العالم ، فأجاب أن
من يحس الظلم ، إذا تم ميسر إلى التفرغ ، لقدومه قلت أنت تعلم
أن الأمر كذلك ؟ أو أظلم فادمين ؟ فانقسم الرجل انقسامه
رقعة . وأجاب في نقه لاشوشا شامة من التفرغ أو القلق لا
شك أنهم سيردون دردت ووجدنا »

أجل إنه لم يصب ذلك المالك المسمى الربى ، إن
الإنسان يحس حاجته إلى إشباع رغباته التي هو في حاجة إليها
أكثر من حاجته إلى المعلم والمدرس ، إن عليه أن يجد نفسه . إن
تاريخ الإنسان هو تاريخ رحلته إلى المحلول في سبيل تحقيق
نفسه الخالدة أعني روحه .

فلاسان في تاريخ ارتدع الممالك الكبرى ومقوماتها ، وفي جمع
لحركات المظيمة وتبديدها ، ويرد حجة وفي خلق الأجسام الزميرية
المثالية ، التي تمثل أعلامه والهاماته ، وببذاتها كما يند العظماء دوات
أصمه ، وفي تكوين معابجه البحرية التي يفتح بها خبايا الخليفة
وفي هذه أعمال المصور العابرة ، ورجوعه إلى مصنعه لخلق صور

جديدة . أجل انه في ذلك جميعه يسير من مرحلة إلى مرحلة نحو تحقيق روحه في أقصى الحدود . تلك الروح التي هي أعظم من الأشياء التي يجمعها الإنسان والأعمال التي ينجزها والمماريات التي يفشها ، والروح التي لن يوقفها الموت أو الاصحاح . ان احطاه الانسان وسفطانه مهما تكن تفاهتها وحقارتها قد نشرت في طرقة وكلاما من الخرائب المقدسة وكانت آلامه كبيرة كالام المحاص التي تتجمع لولادة عامل جبار . هي فتحة مجاح يؤدي بنا إلى الانهيار . لقد شاهد الابن كثيراً من صور الاستشهاد على مختلف أنواعه . وكانت أسلمته هي المحارب التي تناه لي قدم خرايبه اليومية ، عظيمة في نوعها كثيرة في عددها وان هذا حبه ليصبح ولا معنى له ولا يمكن أن يحتمل إذا لم يكن يشعره بسرور الروح العميق في صميم نفسه ذلك الشعور الذي يثبت قوته المقدسة باحتيال الآلام ويدل على ثروته التي لا تعد .

أجل إن السم سددون زراعات ووحدا ويسعون إلى ميراثهم الصحيح في هذا العالم وستنزع دائرة وعيهم إلى الأبد وسيبحثون على الدوام عن وحدة أسمي وأسمى . ويقتربون دائماً من مركز الحق الذي يشمل كل ما في الوجود

بن هـر الانسان لشديد وان حاجاته لا يدركها الحصر وما يزال
كذلك حتى يهي روحه تمام الوعي . ولى أن يصل الى هذه الغاية ،
تظل الحياة لديه في عشوة دائمة ، كأنها شمع قائم وغير قائم في نفس
الوقت . ويحدد الانسان الذي يحقق روحه مكانة المعروف في محور
الكون الذي يحدد حوله كل من عداد مكانه امين وبذلك وحده
. يستطيع أن يستمد حمادته ويستمتع بها في حياة نامة الائتلاف
لقد كانت الأرض في وقت من الأوقات قطعة مدبعية تقدد
حزباً آتياً الصميرة عمزل عنها تحت تأثير قوى الحرارة المنتشرة ،
ولا يمكن قد تم كوسم في صورته المحدودة ولم تكن قد طهر فيها
حول ، أو حدد لها عرص معين فكانت حرارة وحركة لحسب .
وما تجملت أنحرثها شيئاً فشيئاً وأصبحت وحدة مستديرة متجمعة
بحكم قوة عمل على جمع سائر المواد المتناصلة تحت محور واحد ،
أحسث مركزها من مجموعة الكواكب الشمسية كغلاذ من
المررد في عقد من الأس . وكذلك الأمر في روحنا . نحن
لا نستطيع أن نعال شأن أو نعطى شيئاً بصمة حسديه ، مادامت
الحرارة والقوى العليا ، تخدبها من كل جانب . ولكننا إذا وجدنا
محورنا الأساسي في روحنا بهصل ضبط النفس ، والقوى التي توحد

من سائر العناصر المتناهية والمعرفة ، ردت جميع مؤثراتها العديدة
الى الحكمة ووجدت سائر دوافع القلب الوقفية كما لها في الحب
وعند ذلك تسمى تفاصيل حاشتها للطمعية عرساً لاسئلتها وتتوحد
كل أفكارها وأعمالها برباط داخل لا انفصال له

يقول لامشاد بابهجة التوكيد أعرف الواحد . أعرف الروح
لها القطرة التي تقولك نحو الكائن الذي لا يهوى

هذه عتبة الاساس الأخيرة ، وهي أن يجد « الواحد » الذي
فيه . فهو حقيقته ، وهو روحه . والله تعالى الذي يمتنع به باب الحياة
الروحانية ومملكة السماء . من رغباته كثيرة ونسبها يحسون وراء
مصائب الحياة المختلفة لأسماء يجد فيها حاشتها ويجعلها . ولكن ذلك
« الواحد » القائم في كيانها ما منك سأل عن لوحده . - الوحدة
في المعرفة والوحدة في الحب والوحدة في أعراض الإرادة . وإن
أسمى ما تصل اليه من سرور هو حيث تصل الى الانهائي في نطاق
وحدتها الأبدية . وهكذا يقول ورد لامشاد : إن أولئك الذين
يستمتعون بالمعقول هادئة هم الذين يتناولون السرور لأندى بأدراكهم
من صميم أرواحهم ، ذلك الكائن الذي يبدو جوهرأً واحداً في
صور متعددة .

إن الواحد للكائن في كل أساس عند طريقته نحو الواحد -
الكائن في مائر الأشياء ، في مختلف صور الحياة هذه طبيعته
وذلك سروره . ولكنه لا يستطيع أن يصل إلى هدفه عن هذا
الطريق المنحرف لو لم يكن لديه نور من ذات نفسه ، يستطيع به
أن يدر في لحظة من عذبة الصورة التي يحدث عنها أن صورة
الواحد الأعلى التي في روحه أن هي إلا فطرة مباشرة لا يقوم
أساسها على المطاق أو التعريف على الأخلاق ، أن أعيننا مطمحها
نرى الشيء الذي أمامها كلاً لا يحمله أحراء متفرقة ، ولكن بحمها
مائر الأجر ، موحدة في نفوسها ، وكذلك حال في بداهة وعيا
الروحي ، الذي يدرث بطبيعة وحدته في الواحد الأعلى .

في الإنشاد : إن هذا الإله الذي يتجلى بعنه في قوى
الكون سكن قلب الإنسان على الدوام كروح عليا وإن هؤلاء
الذين يدركونه بأحاسيس القلوب المباشرة بالولن الخلود .

وسمى باسم « فيثما كوما » ذلك الذي تدور مطهره الخارجية
في الطبيعة في صور وقوى مختلفة . ويدور مطهره الداخلي في روحنا
في الوحدة . فسعيننا نحو الحق في نطاق الطبيعة يكون عن طريق
التحليل والتدرج في أساليب العلم . وادر كما الحق في روحنا يكون

عن طريق الصلوة المباشرة . ونحن لا نستطيع أن نصل إلى الروح
الهيبة بما نزيده من المعرفة التي يتركها جزءاً مجزئاً إلى الأبد ،
لأنه هو واحد ولم يكن أجراً مجزئاً . وإن لم نستطيع أن نعرفه
لفلسا ، وروحاً لروحاً . ولا نعرفه إلا في الحب والسرور الذي
يملؤنا حين مهب أنفسنا ونقف أمامه وحياً بوجه

إن أعرق الصلوات إلى اسميت من أعماق الأساطير ، وأجره .
قد صودت في قول المأثور « أيها الذي نتجنى بمسك ، نجي في
مسي » وأما نحن في شقاء الأساطير مخلوقات النفس الباطنة
الصيقة ، التي لأتوب بمرأ ، النفس التي تسمى عن اللاهية . إن
نفسنا لتذعن في صفة عالية مشوشة . وانست بالقيثارة . سفة
التي تتصل أصواتها بتوسيق الأبد . وإن فلوسا الصبح له الترح
تحت أنات العود وأنم الخيمة ، ولأسف استرحى على الماسي
القدير والفاق على المستقبل لأننا لم نجد روحاً ، ولم تطهر في هوسنا
لك الروح التي تنجلي بنفسها ونفسوا « أيها الإله الرهيب انقضى
باسمك العذبة أبد لا بد من »

إن هذا الاعتراض نفس وذلك الشبه الشديد والرهو بالامتلاك
ونقلب القلوب ، بعد كعب ، كثيراً من كعب الموت . « أي .

رودر الراهب مرتق ذلك لحجاب الظلم ودمع الشعاع لمتقد الذي
يبعث من اسماكتك لحيلة يتغلغل في هذا الليل الكئيب ويوقظ
روحى من سباتها .

فدى من الباطل الى الحق ومن الظلام الى النور . ومن الموت
الى النقاء ، ولكن كيف يرحى الانسان تحقيق هذه الصلاة ؟
« اللاهية هي المدى القاتم بين الحق والباطل وبين النور والقاء ،
أجل ان هذه الحياة التى لاتقاس تقياس تتصل بحسرى لحظة
واحدة ، حين يتجلى المنجس نفسه فى أعماق روحها ، مما تقع
لمعجزة وبلتقى الحدود وعبر الحدود » يا ابن أول كل خطيائى «
« الانسان الخطيئة يعين الحدود على غير الحدود الذى فى نفسه .
ومضى هذا أنه يهزم روحه بدمه » و « ما من مئة مائة مما تنكشف
عنه من الخسارة . إذ يمد الانسان كل مائه فى الحياة ليدال اخره
اليسير . والخطيئة طحمة فى جبين الحق تعيم على وعينا انما هو
فى الخطيئة تنمى شهوة الى الماسرات لا لأنهم محوذة فى الحقيقة
ولكن لأن صياء عرطها الأحرار يظنها تظهر الشئ .
المحور . ونحن لا تنوف الى الأشياء لأنها عظيمة فى نفسها وسكن
لأن شرفنا يبالع فى تقديرها ويظهرها فى مظهر الشئ العظيم .

وذلك الرّيف في تقدير حقائق الأشياء يغفل وحدة حيات المتصلة
في كل خطوة من خطواته . انفق تقدير القيم ويؤخذ بالمظاهر
الكاذبة لصور الحياه المختلفه ، التي يتنازع بعضها بعض . ين عمر
الاسان من استحصار عناصر طبيعته في ظل وحدة الواحد الأعلى
هو الذي يجعله يحس ألم انفصاله من الله ويعبر هذا الدعا ، الحار
بالله يا ربّي ، أزح كل حصار ي و زلها حبيب ، وأعطا ما هو خير
له ، ذلك الخير الذي هو خير روحنا المومي . إننا مريدون في
مسيراتنا بأهسنا ، وبالحير نتجوز و يرتبط بكل شيء ، في الوجود .
وكما أن الطفل في رحم أمه يمجّد قوامه بانصاف حياته بحياتها
التي هي أوسع من حياته ، فكذلك روحنا نتحد غداها في الخير
حسب ذلك الخير الذي يعدّ حياة الأبرار وشأنها الباطنة . وللمر
الذي بوصفها إلى اللانهائي الذي يحيطها ويغذيها لذلك بقل « سعداء
أولئك الذين يجوعون و ظمأون وراء الحق فاسهم سوف يمتلئون .
والحق هو عهد الروح المقدس ولا يشبع الانسان ويحمله بها
حياة اللانهاية ، وسعداء في المسير إلى الأبد ، شيء سواء . إما
سعى إحلالك يامن تنبث عنه مسرات حياتنا . وسعني
اليك يامن ينبث عنه خير روحنا . وسعني اليك يامن هو الخير

والخير الأسمى ، يامن فيك تفصل سائر الأسماء ، في الأمن
والتوافق والاحسان والحب .

إن دعاء الإنسان يرتفع حتى يبلغ أقصى ما يبلغ من التعبير
عن نفسه وإن رعة التعبير عن النفس هي التي تقوده إلى المبحث
عن الثراء والقوة إلا أنه يجب أن يعرف أن هذا الجمع لا يحقق
نفسه فالفناء الذي يتخلص في نفسه هو الذي يظهره . لا الأشياء
الخارجية عنه . وهذا شتم هذا الفناء عرف في لحظة واحدة أن
أسمى ما يصل إليه الإنسان من الظهور هو تحي الله في نفسه ودعاؤه
أي هو لأجل ذلك - أي ظهور روحه وتحل الله فيها . أن
الإنسان لا يكون اسماً بل معنى الصحيح ، و ما أقصى ما يصل
إليه من ظهور النفس والتعبير عنها ، إلا إذا حقت روحه نفسها
في الكائن الإلهي « أليه » الذي جوهره التعبير .

وانما الشقاء الإنسان الحق هو أن لا يتم ظهوره إلى حده الأولى ،
ويظل محنقاً في حدود نفسه ، صامتاً في عياهب وعذابه .
ولا يستطيع أن يحس نفسه بعيداً عن محيطه الشخصي ، أما نفسه
الكبرى فلوثة . وحقيقته فجهولة . لذلك فإن الدعاء الذي
يسمى من سائر كيانه هو هذا « الدعاء » يامن هو روح التجلي

نجل بمسك في نفسى ، وهذا التوق الى التعبير الصحيح عن النفس ، مودوث في أحاق الانسان ، أكثر من اجوع والظمأ الذين يطلبان لصيانة الجسم . وأكثر من شهوته الى الثراء والوجاهة . ولدت أهمية هذا الدعاء في أن يولد الانسان منه حسب . ونسكه في أعماق سائر الاشياء ، وهو الدعوة التي لا تنتهى « لأبيه » روح الظهور الأبدى .

ان نجل الانسائى في الهائى ، الذى هو حركة الخليقة أجمع لا يرى في تمام كماله في السوء ذات السجوم المشرقة ، ولا في حمال الأراهر . واسكن في روح الانسان لأن إرادته تظهر في الارادة . والحرية تال حائرتها الأخيرة في حرية « تحيطة » .

لذلك فان نفس الانسان التي لم يحطها من الكون الأعظم بعرضه ، قد تركها حرة . فلا تسير في نظامه المادى والعقل حيث تتصل بالطبيعة ، يجب أن تعرف قانون ملكه . فما في نفسه فهو حر في امكاره . وهنا يجب أن يسمح لاله . أن يسمح ونسكه . أنى كصيف ، لا ككلك . لذلك فان عيبه أن ينتظر حتى يدعى والنفس التي يسحب الله عن أوامره هي نفس لاسان ، لأعجاء نكرم حنا فيترك قواه المسلمة — وهي قوانين الطبيعة — حرج

أبوه ولا يسمح لشيء بأن يتقدم إلى رحابه غير المحال . فهو وحده رسول حبه .

ولا يؤذن بالموضي إلا في هذا المطلق ، نطاق الإرادة .
ولي نفس الإنسان وحده تقيم موصي الباطل والظلم سلطاتها وتصل
الاشياء إلى ذلك المآزق الذي يحيط ، يصرخ من ألما المضي قاثين
« هذه الموصي لا يمكن أن تسود إذا كان في الوجود إله » أجل إن الله
قد وقف إلى جانب نفسه حيث لا يعرف صبره - الذي يراقب
الاشياء - حدوداً . حيث لا يرغمنا إلى فتح الباب وقد أعلقناه
دونه .

وذلك أن الله وحده يجب عليها أن تبال معها الأحرار
وهو الروح ، في الحب ، لا في مقاومة قدرة الحقائق ، والله تصبر في
وحدة مع الله في ظل الحرية .

إن الذي تتحد روحه بالله يعد بين الداس عشية الزهرة الرفيعة
للأسانية لأن (أهيه) يظهر له أصبح ما يظهر الله في خلقه .
ولأننا بهذا نرى اتحاد الإرادة العليا بأرادتنا واجتماع حنا بالحب
الذي لا يحد بحدود

من أجل ذلك كان لإنسان الذي يحب الله حنا حقيقياً في

بلادنا محلا لاكرام الناس وحهم . وإن عد في القرب في غالب
 الأحيان رحما يجتف . إذا أذا محمد رعة الله فيه محقة وسائر
 المواقف التي تمنع ظهوره رائلة ، وسروره الحق في الاساية
 مرهرا في أبيه روته . صحبته تحترق بحب الله ، وتجل لحما
 الأرضي نوراً وبهجة ، وتجتمع سائر روايد حياتنا ونحارها
 لسرور والألم حول هذا المطهر الذي شب عن حب المقدس
 وتكون تلك القصة العرامية التي شهدها به . ونحري لمست
 من لسر اللامها في عني صدرها خيابة ، ووجوهها المعروفة ،
 فتبعث منها موسيقى صامته الدم وببدو لأشجار والدجوه
 والثلال الرقاه ، رموز شتعل كمي لا يمكن أن يعبر عنه
 بالكلمات وكأنه رامب لسيد الأكر وهو ودي عملية حق
 عالم جديد ، حيث نخلع روح لإيمان ستار بها الكثيف
 ونقيه جاننا ، وحيث يرمع منها النقاب ، وتصيح وجها لوجه أمام
 محبها الأبدى

واسكر عاهده الخال ؟ إنها صباح لربيع ، يختلف في
 حياته وجماله ، وإن كان شيئاً واحداً وكلها ، فإذا خلعت حياة
 الإنسان من خبرته وروحه وحدته في الروح . أصبح وعي

الانها في لديه وعيها مباشرا طبيعيا ، كالدور للهب . فيوافق
 بين سائر منازعات الحياة ومنافضاتها . وتصبح المعرفة والحب
 والعمل في وحدة منسجمة متفقة ، ويصير السرور والألم
 شيئا واحدا في الجمال ، والمنة وأحرمان منسويين في الظير .
 وتغدو العدة بين المحدود وغير المحدود وقد امتلأت وتدفقت
 بالحب . وتحمل كل لحظة رسالة الأبدية . ويبدوانا مالا يدركه
 التصوير في صورة رهرة أثره ، ويصبحنا مالا حادثة في راعيه
 كالأب ، ويسير إلى جانبنا كالصديق . إنها الروح ، الواحد
 الكائن في الأمان ، الذي بضميمة يستطيع أن يتقلب على الحدود
 ويوجد صلتة بالواحد الآخر . وإد لم تنل الوحدة الباطنة ،
 والشمول في كياننا ، فإن حياتنا تظل حياة عادات وما تزال
 تبدو لنا آلة تحكم حيث تكون نافعة ، ويحتس منها حيث
 تكون خطرا ، ولا تعرف على الإطلاق بروابطها القصوى نفوسنا
 ومكان هي في وجودها المادية وحياة الروح والجمال

مسألة الشر

إن الذى يسأل ماذا وجد الشر فى الحياة ، كمن يقول لماذا
وجد النقص فيها ، أو لماذا كانت الخليفة على الإطلاق ! والذى
يجب علينا أن نتأكده هو أن الحياة لا يمكن أن تكون على
حالات ذلك . أى أن الخليفة يجب أن يكون ناقصة . ونسبها
تخرج فى طريقها نحو الكمال . ومن العبث أن نتساءل : لماذا
نحن فى هذا الوجود ؟

والسؤال الصحيح الذى ينبغي لنا أن نسأله هو : هل هذا
النقص هو الحقيقة الأخيرة ؟ هل الشر فى الحياة شيء كلى وسهائى
فى ذاته ؟ إن النهر له حدوده وشطآنه ، ولكن هل الشطآن هي
النهر ذاته ؟ أو هل الشطآن هي الحقيقة الأخيرة التى يمكن أن
نصلها عن النهر ؟ أبست هذه الحدود والموانئ نفسها هي التى
تحرك ماءه وتدفعه إلى الأمام ؟ وإذا كان الخيل يستخدم كرماط
للسفينة ، فهل يعلم من ذلك أن القيد هو كل معنى فلسفية ؟ أليس
هذا الخيل فى نفس الوقت يقودها إلى الأمام ؟

إن تيار الحياة له حدوده ، وإلا لم يكن فيها وجود . إلا

أن غرضها لا يبدو في الحدود التي تحجزها ، وإنما يتجلى في حركتها التي تقودها نحو الكمال . وليس العجب أن الحياة بحسب أن تكتملها العوائق والمشقات ، ولكن العجب في الحقيقة أن يسودها القانون والنظام ، والجلل والسرور ، والخير والحب . وفكرة الله السائدة في نفس الإنسان هي أعجب العجيب . لقد أحس الإنسان في أعماق حياته أن ما يبدو غير كامل هو مظهر الكمال . وما أشبهه بالسامع الذي له أذن موسيقية ، يدرك جمالي اللحن ، وهو إنما يحس لتعاقب النغمات الموسيقية . وقد أدرك الإنسان ذلك التناقض العظيم الذي يبدو في أن الحدود لا يبقى محبوساً في حدوده ، فهو في حركة دائمة ، ولذلك يسيطر حدوده في كل لحظة . وفي الواقع أن النقص ليس معناه إنكار الكمال . والمحدود لا يناقض غير المحدود ، وإنما هما الكمال في أجزاءه المتفرقة ، وغير المحدود في نطاق المحدود

وليس الألم ، وهو شعورنا بأنا محدودون ، أمراً لازماً في حياتنا . فهو ليس نهاية في حد ذاته شأن السرور . وإذا واجهناه عرفنا أنه ليس له مكان صحيح في حياة الحقيقة الدائمة وهو في هنا كأنه خطأ في حياتنا المتكسرية . فعند إذا اطلعنا على

تاريخ تقدم العلوم أذهلتنا كثرة ما فيه من الإحصاء التي تكونت في مختلف المصور . وليس في الوجود من يمتد في الحقيقة أن .
للم هو الطريق الصحيح لنشر الأخطاء . وإلى الميرة في تاريخ العلم عما يسجله من الحقائق ، لا ما يرتكبه من الأخطاء العديدة .
فالخطأ بطبيعته ليس شيئاً ثابتاً ، ولا بقاء له مع الحقيقة وهو في ذلك كالأفق الذي يسرع إلى ترك مرله عندما يشعر بأنه لا يفي بحاجة إلى النهاية .

كذلك الشر في صائر أحواله كاضطلة الفكرية ، غير ثابت . في جوهره ، لأنه لا يوائم الحياة في عمومها . ويتصلح كل لحظة تمشيته في محرى الأمور ، ولا يفلت يتحول مظهره على السوام ونحن مبالغ في تقدير أهميته حيث تصور أنه شيء ثابت أبد الحياة .
إننا نراعي حقاً إذا نظرنا بطريق الإحصاء والعقد إلى ما يحس بالأرض في كل لحظة من الموت والتحلل . وسكن الشر في الواقع شيء غير ثابت ، وعلى الرغم من قواه التي لا يدركها الحصر ، فإنه لا يعوق تيار حياته . وإنا ليرى الأرض والماء والهواء ما زالت تحتفظ بآثار المخلوقات بما فيها من عنوة ومفاء . وقد نشأت هذه الإحصاءات لأننا نحاول أن نستظهر بالعد والحصر

نراً هو في حركة على الدوام . فأصبح للأشياء تقدير في عقولنا
يعاير تقديرها في عالم الواقع . لذلك رى أن الانسان الذى يهتم
بحكم مهته متاحة معينة من النواحي ، يكبر من شأنها . وهو
بإعطائه الأمور قيمة غير قيمتها الحقيقية إنما يعقد بأصية الحق .
وقد يجد رجل لمباحث الفرس السانحة لدراسة الجرائم بتفصيلاتها
وأنك لا يحس مركزها في النظام الاجتماعى بصفة عامة . إن
العلم وهو يجمع شتى الأحداث التى تصور كعاج الحيوان في سبيل
الحياة — كما تبدو في ملكة الحيوان — يدور في عقولنا صورة
عن الطبيعة المقروءة في الذن والخب . ولكننا في هذه الصور
العقلية ما نزل بطرزم حدود الألوان والشببات التى لا بقاء لها في
الواقع وما أشبهنا بمن يحصى وزن الهواء الذى تحمله كل بوصة
في جسم الانسان ليرهن على مقدار ما يروح تحته من أعباء ،
وكيما كان الأمر فان في جسم الإنسان مواءمة يخف بها حمل
تلك الأثقال ، وإلى جانب تنازع البقاء في الطبيعة أخذ وإعطاء
متبادل ، همالك حب الأطفال والرفاق وتضحية النفس المصدرة
عن الحب . والحب هو العنصر الايجابى في الحياة .

وإذا كنا سنظل على الدوام المتقي ضوء البحث ، في ملاحظتنا

على حادث الموت . فإن الحياة ستبدو أمامنا كحداوت كبير
تتجمع فيه عظام الأموات . ولكننا لا نزال في عالم الحياة مرى
أن الموت له أقل تأثير مستطاع على عقولنا . لا لأنه أقل الأشياء
ظهوراً ، ولكن لأنه الناحية السلبية فيها . كذلك نحن نقلق
أجفاننا كل لحظة . والعبرة بالعين وهي تفتح . إن الحياة في عمومها
لن تنظر إلى الموت بعين الجد . وإنما لتصحك وترقص وتندب
وتسنى وتدخر في مواجهة الموت . وأما نحن نزرع ونشعر بعراج
الموت حين نصرف إلى حادث من أحداثه الفردية . غير ناظرين
إلى الحياة الشاملة التي يمد حزناً معها . وما أشبهنا في ذلك بمن
يظفر إلى قطعة من القماش بين الحبر (الميكروسكوب) إنها
سندولنا طرية كاشبكة لا محالة . ونحن ننظر إلى تلك الخروق
لواسعة فنرتعد فرقا عند تصورنا . ولكن الموت في الواقع
لبس بالحقيقة الأخيرة في الحياة إنه ليمدو كالقتام والسم صافية
ورقاء ، وأنه لن يخلع على الرجود أثر ذلك اللون الخالك ، كما
أن السماء لا تترك على حاصح الأظفار أنراً من بقعها الكناء .
إذا نظرنا إلى العامل وهو يحاول المشي نرى إحصاته الذي
لا يجمعى . ولن نجاحه لقليل . وما أقسى منظر الحياة إذا وضعت

ملاحظتنا في حدود ضيقة من الزمن ! ! ولكن العنل على الرغم
من إحمالة المتكرر بحس ذلك السرور القوي الذي يدمه إلى
مواصلة عمله الذي قد يبدو مستحيلا عليه وهو لا يملك في
مفوطه المتكرر كما يفكر في قدرته على أن يحفظ توازنه ولو
لحظة واحدة .

وهكذا نحن نلأى الآلام على اختلاف ألوانها في حياتنا كل
يوم ، وشأننا حيها شأن ذلك الصفل الذي يحاول المشى عبر
ما بينا من نقص في المعرفة وقوة الصالحة ، مصوب في الإرادة .
ولكننا قد نقص من اليأس إذا كانت هذه الآلام لا تزدى غير
صففا . ونحن إذ نصرف أظارنا إلى ناحية محدودة من نشاطنا
سندون خيبتنا وشقاوتنا القردية عظيمة في نظارنا . ولكن حياتنا
تقودنا بالسهولة إلى أن نمظر إليها من ناحية أوسع وأعم . ونمدنا
بالمثل الأعلى للكمال الذي يتخطى تلك حدود الحاضرة على
الدوام وإن لدينا آملا يتقدم تجربتنا المحدودة الحاضرة دائما .
وهو عقيدتنا التي لا تنفى في (اللاهائي) الذي يعلأ نفوسنا .
إنها لا تقرر عجزنا أو تملده شيئا ثابتا . وإنما لا تصع حدا
لأعراضها . وتستطيع أن تقرر أن الإنسان في وحدة مع الله ،

وأن أحلامه الواسعة تتحقق كل يوم . إنما يرى الحق حين فوجه
عقلنا نحو اللانهاية . فليس المثل الأعلى للحق منحصراً في نطاق
الحاصر الضيق . ولا في إحساساتنا المباشرة . ولا كمن في وعيت
كل شيء ، ذلك الوعي الذي يجعلنا نتذوق ما ينبغي لنا أن ندركه
حين أدر كننا بالفعل . وهذا الشعور بالحق كائن في حياتنا إما
بالوعي أو بغير الوعي ، وأنه لا كمر مما يدور على الدوام . فحياته
تواجه الالهيّة ، وهي دأبة التحرك . فطموحها إذن أكرم مما
يصل إليه . وهي في سيرها الدائم تجد أن تحقيق الحقيقة لا يتركها
عند صحراء الحدود ، بل أنه ليدفعها إلى ما هو أبعد على الدوام
ويستحيل على الشر أن يوقف بحري الحياة في عرض الطريق
ويسلب ما لديها . فالشر من شأنه أن يسير ثم يتحول إلى خير
وهو لا يستطيع أن يقف في ميدان واحد ، ليناضل كل ما في
الوجود . وإذا أتيح لشر أيما كانت قواعده أن يقف في مكان ما
دون تحديد . فانه جدير أن يفرس إلى الأعماق و يستأصل جذور
الوجود . وكذلك الإنسان لا يستطيع أن يستند اعتقاداً صادقاً
في الشر . كما أنه لا يمكنه أن يصدق أن أوتار القيثارة إنما صنعت
لذلك الغناء الذي تخلفه الأنعام المتنافرة ، وإن كنا عن طريق

الاحصاء يمكننا أن نعرف كمية حسابية على أن احتمال التنافر
في الموسيقى أكثر من التوافق . فحجبت من يعرف العرب على
البيان آلاف لا يعرفون . إن القدرة على الكمال ترجع المناقصات
العربية . وما لا شك فيه أنه ظهر في الحياة أناس يستفدون أن
الوجود شرط مطلق . ولكن الأسس لم يسطر بين الحد إلى
اعتدائهم . إن تشاؤمهم إما هو مجرد مظهر مكرى أو عاطفي ،
و لكن الحياة نفسها تشير نحو التنازل . لأنها تريد أن تشير
نفسا . والتشاؤم هو صورة من صور الايمان العقلي ، يبدد الغذاء
الصحي ويرفع عنه ويمكف على شراب الاتهام العنيف ، ثم
يخلق نوعا من المصطنع يطعمه إلى حرقة أشد . وإذا كان
الوجود شراً فإنه لا ينتظر حتى يأتي فيسوف ويحكم عليه بذلك
وما أشبهنا في هذا بمن يقع اساءا بأنه منتحرا ، وهو ما يزال
يقف أمامه بلحمه ودمه . فالوجود هنا يقنعنا بأنه لا يمكن أن
يكون شرا .

إن النقص الذي لا يكون نقصا جميعه . ويكون له كمال كمثل
أعلى ، لا بد أن يسير في طريقه للتواصل نحو تحقيق الحياة .
وكذلك فإن وظيفتنا العسكرية هي أن ندرك الحق في تجربتنا

لأنواع الباطل . والمعرفة ليست سوى احتراق متصل للحطأ
لتحرير ضمير الحق . وانما تصل إرادتنا وأحلاقنا إلى الكمال
بالتغلب على الشر دائماً ، داخل نفوسنا أو خارجها . أوفى الاثنين
مما . إن حياتنا للمادية لتستهلك في كل لحظة كثيراً من المواد
اجسمية لتستبقى بمران الحياة فيها . وكذلك حياتنا الأدبية تحتاج
إلى الوقود الذي تحرقه . والحياة تسيرة دائماً نحو التقدم . وقد عرفنا
ذلك وأحسنا ، ولدينا إيمان لا يزعزع بأن اتجاه الإنسانية
يسير من الشر إلى الخير . لأننا نشعر بأن الخير هو المنعصر الإيجابي
في طبيعة الإنسان في كل عصر وكل أرض لا يقدر الإنسان
شيئاً كئله الأعلى في الخير . لقد عرفنا الخير وأحسنا ومنعنا
أسمى ما لدينا من التبجيل ل هؤلاء الذين أظهروا في حياتهم ذلك
الخير .

والسؤال الذي يجب أن نسأله إذن هو : ما هو الخير ؟ ما هو
الغرض من طبيعتنا الخلقية ؟ وجوابي على هذا هو : إن الإنسان
حيث يبدأ بأشهر صورة نفسه الصحيحة ، ويدرك أنه أكثر مما
يبدو في حاضره ، يكون قد بدأ يعني طبيعته الأخلاقية . ومن ثم
يعرف بالتدرج ما لم يصل إليه بعد ، ويدرك أن ما لم يصل إليه .

نخبره أقرب في حقيقته مما وصل إليه . بمعرفة المباشرة . وبما لاشك فيه أن نظره للحياة مستقيم وتحل ارادته محل رغائمه . لأن الارادة هي الرعة الكبرى للحياة الواسعة . الهدية التي لا يصل حاضرنا إلى حرجها الأكبر . ولا يقع نظرنا على أكثر ما فيها . وهنا يحتلظ أقل الناس أعظمهم لهدية ، ونخرج رعبنا بآرادتنا . ونعتقد بحمة الأشياء التي تؤثرها حواسنا ، بالأعراض المكاسة في أعماق قلوبنا . ومن ثم عجز بين ما نرعبه عن طريق مباشر وبين الظير . لأن الظير هو ما رغبه لنفسنا الكبرى . وهكذا فالاحساس بالظير يندث عن نظرة أصبح نحو حياتنا . وهي السطرة التي توصل بين ميدان الحياة الشامل وبين ما يتحقق أماما في الحاضر ، وما لم يتحقق بعد . وربما لا يحققه الانسان . والاسس الذي تحيطه الهداية . يحس حياته التي لم تتحقق . ويحسها أكثر من الحياة التي نصعبه . لذلك فهو على استعداد دائم لتصحية رضانه الحاضرة في سبيل المستقبل الذي لم يتحقق .

وبهذا يصير عظمها . لأنه يحق الحق . ومما نكن من أنانية الانسان فان عليه أن يدرك هذه الحقيقة ، وعليه أن يكبح جماح قواه المباشرة ، وبعبارة أخرى ، يكون أخلاقياً . إذ أن قواها

الأخلاقية هي التي نجعلنا نعرف أن الحياة ليست أجراً متفرقة لا غرض لها ولا اتصال . وهذا الاحساس الخلقى فى الإنسان لا يهبه القوة التى يرى بها أن النفس لها اتصال دائم بالزمن فحسب ، ولكنه يساعد على أن يعرف أنه مخطئ ، حين يحبس نفسه فى حدود نفسه . فهو يكرر بالحق عما هو فى الواقع وهو ينسى فى الحق إلى أفراد لا تحتويهم فرديته ، ورعا لا يتاح له رؤيتهم على الإطلاق . وكما أن الإنسان يشعر بنفسه المستقبلية السائلة خارج وعيه الحاضر فهو يشعر بنفسه الكبرى الخارجة عن حدود شخصيته . وليس بين الناس من لا يشعر بذلك إلى حد معين ، فلا يضحى رغباته الشخصية على الإطلاق فى سبيل شخص آخر . ولا يحس سروراً فى تحمل بعض الخسارة أو العناء ليصير بعض الناس . والحق أن الإنسان يس بالكلية المفصل ، وإن له مظهره الدام . فإذا عرف ذلك ، أصبح إنساناً عظمياً . وأنا لرى أشد الناس غشوا فى الشر يلجأ إلى إدراك ذلك وهو يبحث عن قوة تفصل الشر . لأنه لا يستطيع أن يتجاهل الحق ويحتفظ بثقوته . وهكذا صحن إذا أردنا أن نستعين بالحق وجب علينا أن نتنازل عن أنانيتنا إلى حد ما . ان فريق المصومين

يرى حاجته إلى الأخلاق ليتم التوافق فيما بين امراده . ويرى
سرق العالم ولا يسرق محضه .

ولكى نذهب المقاصد الفاسدة يجب أن تكون الأخلاق من
أسسها . والواقع أن قواها الأخلاقية في كثير من الأحيان هي
التي تهبط القوة المؤثرة لعمل الشر وسنلال الآخرين مصاحبة
الدائية وطلب حقوق الآخرين . إن حياة الحيوان ليست
بالحياء الأخلاقية لأنها لا تحمل بعد الحاضر المباشر . وحياة
الإنسان قد تخاف الأخلاق ولكن يجب أن تكون لها دعائم
من الأخلاق . وما لم يكن أخلاقيا هو بعض الأخلاق كما أن
الشيء الزائف فيه نسبة من الحقيقة إلى حد ما ، وإلا لم يكن
يستحق حتى أن يكون زائفا . وعدم الاصرار هو العيب ، ولكن
النظر الخاطئ . نظر على كل حال ولكنه نظر ناقص . إن أنانية
الإنسان هي أنه يرى بعض صفات الحياة ، وأغراضها ، ويعمل
بمقتضى ما عليه عليه من وسط النفس وانتظام الخلق الملائم لتلك
الأغراض . والمحبة ذاته يحصل اشتياق طائعا مختاراً لأهل
نفسه . ويشغل التعب والحرمان دون تأفف لأنه يعرف أن
ما تسعيه المآ وتعباً . إنما ننظر إليه من ناحية حقيقة من الزمن .

وينقلب الى الانقيض حين ينظر اليه من ناحية 'كثر اتساعا .
وهكذا فان ما يعد حسارة للرجل الصغير يعد حكسبا لمن يكبره
والعكس بالعكس .

ويتسع معنى الحياة لدى الانسان الذي يعيش لأجل فكرة
معية ، خادمة وطه أو الخير الانسانية ، ويصبح الألم شيئاً أمل
أهمية بالنسبة اليه . ان لدى يعيش لأجل الخير يعيش للحميم .
وانما السرور يجبه الانسان لنفسه . ولكن الخير يعمل لسمادة
الانسانية في كل عصر وأوان . وإذا نظرنا الى ناحية الخير بدا لنا
السرور والألم في معنى مختلف . فيكون السرور مصيداً والألم محسباً
والموت نفسه شيئاً يرحب به لأنه يعطى قيمة عالياً للحياة . وفي
مواقف الانسان العليا في الحياة تفقد جواب الخير والسرور
والألم قيمتها السكلية . يدل على ذلك الاستشهاد في التاريخ .
ويدل عليه استشهاد الصبير في حياتنا كل يوم . إما اذا أحضرنا
وعاء وملاًءه بماء البحر نشمر بثقله . ولكننا حين نطس في نفس
البحر يتدفق فوق رءوسنا من الماء ما يملأ أنف وعاء ولا نشمر بثقله
فهو نحمّل وعاء النفس بقوتنا وتحت ظن الأناية بأخذ السرور
والألم كل ما هما من ثقل . ولكنهما يبعثان الى درجة كبيرة في ثقل

الأخلاق . حتى أن الإنسان القدي يتصف بها يبدو لنا مثلاً أعلى
للإنسانية في صدره بأزاء الظروف القاسية المخططة وتجلده أمام
المذاب الشديد .

ولسكى نعيش في خير نام بحسب أن نحقق حياتنا في اللاهاتى
وهذه أشمل نظرة للحياة الشاملة نستطيع أن نصل اليها بقوتنا
الموروثة من الناحية الاخلاقية الشاملة . ونعاليم يودا تمنى هذه
القوة الاخلاقية الى أبعد حد . حيث عرف أن ميدان قوانا غير
مرنط نطاق نفسا الضيقة وهذه صورة ملائكة المسيح السماوية
اننا نتحرر حين نصل الى هذه الحياة الشاملة . وهي حياة
الأخلاق — من أسرار السرور والألم ، ويمتلئ المسكان القدي
تخلية نفسا سرور صامت ينبعث من الحب القدي لا يقاس
بمقياس . وهما ترتفع قوى الروح . الا أنت دوافعها
لا تصدر عن الرغبات وسكن من سرورها وهذه (كارما يوجا)^(١)
الصادرة عن الحيتا أى الطريق القدي يهجه الانسان ليكون

(١) كارما ي النية العسكرية بمعنى العمل أو الحركة وهي كدس
معنى الخزاء المكنوم في الخير والشر ، ويوجا معناه تحرر الروح من كل ما
يعوقها عن الاتمال بالسكون ونالقة .

واحداً مع قوى الانهابة بالتدرب على قوى الخير المجرد عن
الغرض .

حين فكر ردا في خلاص الاساية من هذه الشقاء وصل
الى هذه الحقيقة وهي أن الانسان حين يصل إلى أعلى مراتبه
يادمجه الفردى في الحياة الشاملة يتحرر من أسر الألم فلتنشأ
هذه الناحية بوجه أعم . أخرى تليد من تلاميذى ذات مرة
عظاظرته في زوبعة عاصفة ، وشكا الى بأنه كان في عناء ما صب
طول وقته إذ يشعر بأنه في هياج الطبيعة وعدها كان عاملاً كأنه
لم يكن أكثر من حفنة من التراب ولم يكن له شخصية ذات
صفة معينة وإرادة مستقلة أقل تأثير بها كان يحدث

قلت إذا كان اعتباراً الفردى سيسع الطبيعة من طريقها ، فإن
الفسادة ستكون أكثر على الافراد

ولكنه أصر على شكه . فأتانا لقد كان هذا الأمر الذي لا يمكن
تجاهله — وهو الشعور بدنى الذاتية الكائنة في نفس تبحث
عن صلة فردية بالنسبة لها .

فأحست بأن الذاتية منصبة بشيء غير ذاتي فيجب والحالة هذه
أن نبحث عن وسيط معروف لكليهما ويجب أن نؤمن تمام اليقين

أنه يدى (الدانى) كما هو لدى (غير الدانى) على حد سواء .
وهذا ما يجب أن يعاد هنا ، فببعض أن يستقر في أذهاننا أن
فردبقا طبيعتها مدفوعة إلى البحث عن الحياة الشاملة . وأن
جسمه بالهلك إذا لم يجد ما يقتات به غير مادته ، وعيننا تفقد وظيفتها
إذا كانت لا تقصر غير نفسها .

وكما أن الخيال كلما كان قويا نقص اعتماد الخيال فيه وازداد
تصاله بالحق ، فحين كذلك كلما كانت فرديتك قوية اردادت
صلتها بالكون . إذ أن عظمتها الشخصية ليست في ذاتها ولكن
فيما تشتمل عليه ، وهو شئ عام ، كعمق البحيرة لا يقاس بحفرتها
ولكن بعمق ماؤها .

وهكذا . إذا كان صحيحا أن حين طبيعتنا انما هو لأجل
الحقيقة ، وأن شخصيتنا لا تكون سعيدة تكون حيالى تحلقه بنفسها
من الواضح أن صاحبها يقتضى أن تعالج الأمور باتباع قانونها ،
لا أن تعالجها وفق ما يسررها . وهذه الثقة التى لا تأخذ بالحقيقة قد
تعرض إرادتنا في بعض الأحيان وكثيراً ما تنفردنا إلى الدمار كما
أن صلاة الأرض تؤذى الطفل الذى يتعم المشى حين يقع
عليها . وهذه الصلاة نفسها التى تؤذيه هى التى تعصر له المشى

كنت أمر ذات يوم بقارب تحت قطرة فسطم الصارى
 بأحدى هوارضها . وإذا كان هذا الصارى قد انحنى مقدار حصة
 أو جوستين ، أو ارتفع ظهر القطرة كاهرة العائرة ، أو غاض ،
 النهر قليلا ، كان هذا وفق ما أريد . لكن هذه جميعا لم ترع
 ضعف حيلتى وسهد السب نفسه استطيع أن أسير فى النهر واقلم
 عليه بمساعدة الصارى . وأستطيع أن أعول على القنطرة إذا كان
 التيار متعبا . الأشياء هى ما هى وإذا أردنا أن نعلمها يجب أن
 نعرفها ومعرفتها ميسورة لأن رغبتنا ليست قانونها وفى هذه المعرفة
 مرورنا لأن المعرفة إحدى مداخل صلتنا بالأشياء الخارجة عما
 فى عملها ملصكا لنا وبذلك نوسم من حدود نفسها

يجب علينا فى كل خطوة من خطواتنا أن ندخل فى حبات
 أمر غيرنا لأمر أنفسنا . ونحن لانتمرد إلا بالموت . والشاعر
 يكون شاعراً بحق إذا كان يستطيع أن يجعل من مكرته
 الشخصية سروراً لسائر الناس ولا يستطيع أن يصل إلى هذه
 الغاية ما لم يكن لديه وسيط معروف لكل من يشهد خطاه وهذه
 الامة المدلومة لها قانونها الذى يتجسم على الشاعر أن يكشفه وينمحه
 وبذلك يكون صادقا بحروفه ويصل إلى مرتبة الخلود الشعرى

فمن نرى إذن ان فردية الانسان ليست سوى معاني حقيقته
لأن فيه شيء عام . وإذا كان يريد أن يعيش في عالم تكون نفسه
فيه هي العامل الوحيد . فإنه قد وشر سجن يتصوره الإنسان .
بد أن أعرق سرور حياته . وإذا عظمت واتسعت مآصلة المتواصل
بكل شيء في الوجود . ومن المستحيل أن يكون هذا — كما قد
زايما — عالم يكن ثم قانون معروف للجميع . ونحن نصدق عقلاء
ومحقق الشمول في هوسنا باكتشاف القانون واتساعه ، ومادامت
وعادات الشخصية تناقض قانون تكون فاما ظل معنى الآلاء
ونعيش في عالم الماطن

حاشا علينا حين من الدهر كنا نتمسك ونبتهل ليكون بما في
الحياة اعتبار خاص ، وكما نتوقع أن تسير هواين الطبيعة وفق
ما يحب ورصى . ولكننا أصبحنا الآن نرى أكثر من
ذو قمل أن القانون لا يمكن أن يهتمل شأنه ، ومع هذه العرفة
كتسبنا القوى . إذ أن هذا القانون ليس شيئا منعصرا عما ، أنه
ملك لنا ، وقوة الشمول الطاهرة في هذا القانون الشامل مرتبطة
بقواها روابط واحد . وهي انما تطردنا من طريق حين نصغر ،
ونقف أمام تيار الحياة ، ونساعدنا حيث نعلم ، ونوسط

بأثر الأشياء . وهكذا نحن نسل القوة عن عدة العالم ، حيث
تزداد معرفتنا بقوانين الطبيعة ، ونصبح لنا جسم شمل . فلعصو
الذى نمصر به ولعصو الذى نستخدمة لاشتقاسا ، وفوت
المادية جميعاً ، نصح شيئاً عالمياً . ويصبح المعدار والكهرباء
من أعصاننا وعضلاتنا وهكذا يرى أنه كما يوجد فى نظام تركيبنا
الجسمانى مبدأ اتصال نستطيع بمصله أن ندعو الجسم كله جسمنا
ونستطيع أن نستخدمه كذلك ، فإن هذا المبدأ الذى لا نعصم
صلاته ، يسود الكون أجمع وعصمه نستطيع أن نرغم أن هذا
العالم جميعه إن هو إلا جسم ممتد بنا . ونستخدمه على هذا الاعتبار
وفى عصر العلم نحن حذرون أن نوجه اهتمامنا الى عسا العامة
وان نعرف أن كل ما يسل من فقر وآلام إناء هو ناشئ عن محزنا
عن تحقيق هذه الدعوة المشرعة . لاشك أن قوا لا تخدم بحدود
لأنما لا نعش تعمل عن القوة الشاملة التى تعبر عن القانون العام
فى الحياة ونحن فى طريقة ملتصق على المرض والفناء . والانتصار
على الأمل والفقر ، لأنما بالمعرفة العلمية لا تزال فى طريقنا
نحو تحقيق الكون فى صورته المادية . وإن لجهد ونحن فى سبيلنا
نحو المقدم ، إن الأمل والمرضى والحاجة إلى القوة ، ليست بالشئ

النهائي في الحياة . ولكن حاجتنا إلى الموازنة بين مفسدات العامة
ومفسدات الفردية هي التي ترفع من شأنها
وكذلك نحن في حياتنا الروحية . نحن نأبى الإنسان الفرد
عيباً على الدستور المأثور في الأساس العام . صغر شأننا من الذخيرة
الأخلاقية ومن ثم نحتمل الآلام . ويصبح مجاهدنا والحالة هذه ،
أكبر حيلة لصابب بها ويحاربنا لتحقيق رغباتنا أشد قسراً وعوداً
إننا نتوق إلى اكتساب ربح خاص لمفسدنا ونود أن نحظى بمزايا
لإشراك كسائرها أحد . ولكن كل شيء خاص بمحس ، لا بد أن نطعن
في حرب دائمة وكل شيء عام . ويعيش الإنسان على الدوام ،
في مثل هذه الحرب الأهلية ، دائماً ملجأ . وفي أي مدينة تقوم
على الأنانية لا تصحح أوطان أوطاناً عمى الكلمة ، ولكن
مدوداً مصطمة نحيط من حولنا . ونحن مع ذلك نشكر من أمنا غير
سعداء ، كأن امرأاً طرياً في طبيعة الأشياء يجعلنا أشقياء لأن الروح
الشاملة تنتظرنا لتتوجد بالسعادة ، ولكن روحنا الفردية تأتي
عليها ذلك . وحيث كانت حياء " من الذاتية ، توجد التناقض
والاضطراب . وتقف النظام الطبيعي في المجتمع ، وشيئاً من أنواع
الشقاء . وتضع الأمور في ذلك المأزق الذي يسوقنا إلى وضع

قوانين مصطنعة وانتداع ضرور شتى للظلم ، لكي نحتفظ بالنظام ،
والمحتمل فيما بيننا الأنظمة الجهتية التي تدل الآسسية في كل لحظة
من اللحظات .

فيتين مما تقدم أب ، إذا أردنا أن نكون أهوية ، وسب علت
أن محصم ارادتما الفردية لسلطان الارادة العامة . ويعتقد بلحق
الذي هو ارادتما . وإذا وصلنا الى حيث تتم الموازنة بين الحدود
وغير الحدود ، أصبح لألم نفسه من ذخائر القيمة لألم سيكون
يثابة العضا التي تقس بها القيمة الصحيحة لسرور .

إن أهم درس يستطيع أن يعمره الانسان من حياته لم يكن
معرفة الألم ، . ولكن معرفته كيف يحول هذا الألم الى حـر
ورصيره سروراً . إن هذا للدرس لم يصع علينا مدى . وليس
بين الناس من يقل عن رضا ، حرمانه من حقه في اقبال الألم
لأنه حقه الطبيعي في أن يكون رجلاً .

شكت الى ذات يوم زوج عامل فيير بحرارة وحده لأن اسها
الآن كرسير حل الى منزل أحد الأقارب الأغنياء حزوا من السنة ،
وكانت محاوله التخفيف عنها تخز في نفسها وتبعث بها الشجن .
لأن ألم الألم ملك للألم ، محكم حفا الذي لا يتحول في الحب .

وهي تكون لتجملته في صفة تمثيلها عليها مقتضيات اللياقة ..
 ويست حرية الانسان في أن يقتضيت المتاعب ، وانما كان
 حرفة في أن يقتضيت المتاعب في سبيل حيره . وأن يجعل التعب
 عاصراً من عناصر السرور . ولا يكون ذلك إلا إدراك أن
 هذا الفردية ليست أصحى معنى في حياته فحينئذ الانسان العاقل
 الخالد الذي لا يخشى الموت أو الآلام ، ويطرأ إلى الألم كوجه آخر
 من أوجه السرور أن من يدرك ذلك يعرف أن الألم هو ثروتنا
 باعتبارها مخلوقات باقصة وهو الذي يحملنا عطاء في الحياة ، وأن تحقق
 أن تحت مكاننا من الكمال لأنه يعرف أن لنا مسئولين .
 والصلة الصلبة هي التي يجب أن تدرك لكل شيء في هذه
 الحياة : قوتنا وحكمنا وحسننا . وفي الألم يرمز إلى إمكان الوصول إلى
 الكمال الانساني ، وانما في السرور الدائم . والانسان الذي يفقد
 سرور احتمال الألم إنما يهرب ويعود إلى أسفل درجات العود
 والانحطاط وإذا نحن نؤمن بالألم لمعظم حسب أصبح شراً ومن ثم
 يأخذ انتقامه بالاهية التي خلقت به ويسوقنا إلى التوهم . لأنه
 المدراء المدة لخدمة الكمال الأبدى فإدما احتلت مكانها الصحيح
 أمام اللاهية أزالنا قساعها القاتم وأسمرت عن وجهها للراغبين ،
 كظهور لاسرور الأسمى

مسألة النفس

أنا في ناحية من حياتي في وحدة مع الحيوان والجماد
فأعرف مبدأ قانون وجود الشامل الذي تقوم عليه دعائم حياتي
وتتند إلى الأعماق . وقوته في ذاته في قضية الحياة لشدة ، وانصافه
التام بكل شيء في الوجود

ولكني من ناحية أخرى مسجل عن كل شيء ، وبذلك أقطع
حبل المسارة وأقف وحدي كعبد مسرور ، فأنا وحدة قائمة
بذاتها ، أنا ، أنا ، وأنا شيء لا يمثله شيء آخر وإن هذ السكون
المتجمع بثقله لا يستطیع أن يحطم رديتي . فلا زال أحتمل
بها على الرغم من التجارب الشديدة الذي يربطها بكل شيء .
في الوجود وانها شيء صغير في مظهره ، ولكنها عظيمة في حقيقتها
هي تلك زمامها حيال تلك القوى المعظيمة التي تحاول أن تسترق
صمتها لذاتية وتجعلها هي والرغام على حد سواء

هذا هو البهاء الأسمى للنفس ، يبعث من أعماق مصدره
الخمول ومن ظلامه إلى العالم الظاهر . معتدا باستقلاله وانصافه ،

مفخراً بأنه يؤلف فكرة معينة واحدة من لحن (الساء) لاظهار
خافي سائر الكون

يبدو كأن هذه الفردية ن تهديم ، فن معين ذلك السرور
ليس يتألق في أعماق في بلاشي ، وإن لم أقتد شيئاً من كيان
لماذي ، أرتحطم منه ذرة ، ألسا نغلس أفلاسانا إذا حرمت
هذا التحصيص ، وسلسا تلك الفردية التي هي الشيء ، الوحيد الذي
يستطيع أن يقول انه ملك لنا والذي إذا حصره ، فخصارته في
نفس الوقت حسارة للعالم جميعه . وإن له دأسته ، إلا به ليس بالشيء .
العام . ولهذا فمحض عن طريقه وحده بمكمن أن ، مال صلتنا بالكون
أقرب مما لو كنا راقدين في أحصانه غير شاعرين بما لنا من عيبرات
ر الككل يبحث على الدوام عن اكتماله في الفرد الواحد وأن
رغبتنا الملحة في أن نكون وحدتنا سليمة ، هي في الحقيقة رغبة
الكون وسرورتا سير المحدود (اللانهائي) الذي في بؤسنا هو
الذي يمدنا بالسرور الذي نحسه في انفسنا .

ومما يدل على أن هذا الانفصال الذي تساله النفس هو أعرضي
لدى الانسان ، عاية عمله من الشائق وما يرتكبه من الخسايأ في
حييله . ولكن رعى الانفصال قد أثنان عن طريق التغلدى بشار

العلم . فقد الانسان إلى العار والخربة والحلاك . وهو مع ذلك
يعد لديه أعز من أي فردوس تمش فيه النفس . في سنة من السوم
وراة كاملة بين أحضان أمنا الطبيعة .

إيه الجهاد شاق وألم يمح ذلك الذي نحصاه في سبيل الخطة
على انفصال هذه النفس ولكن هذه الآلام في الواقع تعدد قيم
لها من قيمة في الحياة . ويظهر جانب من قيمتها في التصحية التي
تربنا مقدار الثمن الذي ندله في سبيلها والجانب الآخر فيما نذكره .
من كسب يربنا مقدار ما حصنا عليه

وإذا كان ثم كسب متواصل في الحياة وكانت تلك الحياة
لا تنتهي متالي المراع والعدم ، بل إلى الامتلاء والوفرة ، فإن هذه
المظاهر السلبية ، واعى آلامها الشديدة وتضحياتها ، تجعلها أكثر
نفاذة وقد تبين أنها كذلك لمن ادركوا عظمة الباحية الإيجابية
في نفس ، ونقلوا مشايراتها شغف ، وتحملوا التضحيات في غير
إعجاب .

وبالتقدمة السابقة سهل على أن أحيب على سؤال الفاء عن
أحد جلسائي يقول : اليس أنت المهدى التي مدت شرعة القضاء
على النفس ، وجعلتها العرض الأسمى للإنسانية ؟

يجب أن يستقر في أذهاننا أولاً ، إن الإنسان لم يكن قط
بحسب التعبير عن أفكاره إلا في أمور العلة عند النعابة ،
وكانه في العاص لانتألف منها نمة على إطلاق وإعنا هي مجرد
إشارت صوتية تصدر من هم ألكم . وإذا دلت على شيء فاهم
لاسين عن أفكاره . وكما كانت في أفكاره حياة كان من
المستطاع فهمها من مصوص حياته . ما من يحاولون فهمه
عن طريق المعجم الحسب ، فاهم يصلون إلى الدار طريق آلى
فيقنون أمام الجدار من الخارج ، ولا يجدون سبيلا إلى قاعته . هذا
كانت تعاليم أرفع أنبيائنا معاماً مشر حصوصت لاحد لها . إذ يحاول
أن نعمها بالجري وراء انماظها ، لا بدرا كما في حياتنا أما الذين
قصى عليهم بأن يشقوا بموهبة العقل للفظي فاهم التمسك الذين
يشغلون بالشباك عن الصيد .

وليس مبدأ التحرر من النفس معروفا في اليهودية والديانات
الهندية لحسب ، وسكته في الديانة المسيحية كذلك . لا يقال
بالتحمس الشديد . وأخيراً فان رمز الموت كان يستعمل للتعبير عن
المسكرة التي ترمى إلى نخلص الإنسان من الحياة الباطلة ، وما
أشبهه نرقنا (١) التي ترمز إلى إعطاء لمصباح . يقال في المأثور

(١) مرقانا : حانة من حالات فناء النفس وهي ضد لبوذين أسي
حالات العرف والسعادة والتجرد عن العايات

عن آراء المبدأن أن تخلص الإنسان الصحيح هو تخلصه من أثيلنا
أى من الخوف . وأنه لا يقضى بهذا على شيء ، إنما أولى صحة
الحق ، فإن هذا أمر مستحيل ولكنه يقضى على شيء ، سوى
مضى عما ينظر الحق . ماذا مازال هذا المثل ، وهو الجبل ، فلس
إلا أن ترزع الخوف ولا حسارة للعين .

إن حبنا هو الذى يجعلنا نطن أن نعيش ، كعس ، بعد
حقيقة ، وإن معناه يكتمل فى ذاتها ، ونحن إذ نطرح هذه الفكرة
الخطأية إلى الدرس محاول أن نعيش فى حالة نكون النفس فيها
هى الشيء الأخير فى حياتنا ، ومن ثم نناق إلى اليأس .
كذلك الذى يحاول أن يعمل إلى غاية بأن يسير بخطوات
واسعة على تراب الطريق

إن من لا يحاول أن يتقيداً فإن طبيعتها الاطلاق ، وإذا
نحن حاول أن نتعلق بخيط النفس الذى يجتاز معزل الحياة ،
دائماً لا يساعد على تحقيق الغرض الذى يعمل لأجله التماس
الذى يفسج فيه .

حين يعنى انسان عناية بالغة بتهيئة متعة نفسه ، فيودد
دراً ، وليس لديه عزيمة يصنع منها خبره ، فإن النار تشتعل

وبأكل بعضها بعضا حتى نصير رمادا كالوحش العنبري ، الذي
بأكل ذريته تم يهلك .

في الامة المحبولة بحمد الانماط شهرة طاعية . هي تستوقف
ولكن لا نقول شيئا . واذا أردنا أن نتخلص من حكم الكلمات
يجب علينا أن نخضع لموسم من إيقديا ، نحن . فيجد عقلا
حرية المطلقة في العكرة الساطعة . وقد يكون من الغناء أن
نقول أن حبالنا باللمة يزول ، تعظيم الكلمات . كلا . إن العلم
الصحيح حين ينشر ، لو يتهتم بقي كل كلمة في مكانها ولا نربطها
إلى جانبها ، نبدأ بها نجهلنا نحر عن طريقها ، ونفقدوا إلى العكرة
التي تحقق حريتنا

وهكذا فإن الحمل (أفديا) وحده هو الذي يحمل النفس
قيداً من قيودنا ، إذ يحبسنا بحال أسوأ نهاية في حد ذاتها ، ويمنعنا
أن نرى أن هذه النفس تشمل على الفكرة التي تتعدى حدودها
لذلك فإن الرجل العادل يقول (حرر نفسك من أفديا) اعرف
روحك الصحيحة ، وتحرر من قبضة النفس التي تضغط في
سجن ضيق

إنا نحن نسال حريتنا حين نصعد إلى طبيعتنا في أصبح معبراً .

فالقائى بمجد حرية فيه حيث يمجّد المثل الأعلى له . ومن ثم يتحرر
من محاولات التقليد المنمّعة ، ومن عوامل الاستحسان العام
وليست وطبيعة الدين افساد طبيعة تناول كمن اتبعها ، أن كلمة (دهر) .
في اللغة السنسكريتية (١) التي اعتدوا أن يترجموها في الإنجليزية
بمعنى البداية ، يحمل معنى أشد عمقا في اعتما . ودهر ما عدا ذلك هي
أعماق أعماق الطبيعة ، وحوهر الحق التام الذي يشمل مدثر
الأشياء ودهر ما هي الفرص الأحرى الذي يعمل في هوسا .
فإذا وقع خطأ من الأخطاء قلنا إن دهر ما قد انتهت حرمة
وسمى أن الباطل قد غشى طبيعتها الصحيحة .

وسكن دهر ما الذي هو الحق السكمن في هوسا غير ظاهر
لأنه حال فيها . وقد قيل أن الخطيب من طبع الإنسان وأن عبادة
خاصة من الله هي التي تخلص منها الشخص الذي نصطفيه .
وذلك كقولنا أن من طبيعة الحية أن تكن في قشرتها . ونسها
محزنة من المحزات تصبح شجرة . وسكن الله تصرف أن
مظهر الحية ساقص طبيعتها الصحيحة . فإذا وصفتها تحت اختيار
التحليل الكمي في وجدت السكرتون والروتين وبعض المواد

(١) اللمة السنسكريتية : لغة الهند القديمة ، وهي لغة البراهمة . ولا
يراد بتكلم بها فريق من اليهود في الجنوب .

الأخرى ولكفك لآنخذ الشجرة ذات الفروع . وإنما تبين
حقيقتها «دهرما» حين تطير الشجرة وتأخذ صورتها . عند ذلك
توفن أن الحمة التي فقدت وعرضت للفناء في دطن الأرض قد
حولت إلى دهرما السكائن بها . أي إلى كمال طبيعتها الصحيحة
وقد رأيت في تزيخ الإسمية أن الحمة الحية التي في نفوسنا تزهر
وتتفتح ، وأن افرض الاسمى السكائن فيها يتجلى في حياة عظامنا
وأبنا أن حياة الكثير من الأفراد وإن كانت تظهر عديدة الأثر ،
وإن دهرما الذي بها يطل مجددا ، فلها لانتابت أن تخرج من
شعرها ، وتتحول بموس هؤلاء إلى قوة روحية كبيرة تنمو
وترعرع في الهواء والصياء . وتنشر فروم . في سائر الجهات .

إن حرية الحمة تطير في وصولها إلى دهرما ، أو كرامة فيها .
أي طبيعتها وحقتها في التحول إلى شجرة . وسجتها في الوجود عن
هذه العاية . وكذلك التصحية التي عن طارقتها يصل الشئ . إلى
تمامه ليست بالتصحية أي تنهى بها إلى العماء ، ونسكها بدالة
الدوائق والحدود ، التي عن طريقها ، نال الحرية

وإذا ما عرف اسمى مثل الحرية الإنسان ، عرف دهرما
الكامن فيه ، والخواهر الذي في طبيعته ، والمعنى الصحيح الذي

في همه . وقد بدء لأول وهلة أن الإنسان إنما بعد هذه الحرية
ليسأل عن طريقها ورضا لا يتحد لأرضاء النفس وتعظيمها . ولكن
من لا شك في هذا التاربح لا يقودنا إلى هذا الحكم . فإن رجال
الهمين هم الذين كانوا يحبون دائما الحياة التي تذهب إلى تصحية
النفس . إن الطبيعة العليا الكامنة في الإنسان ، تبحث على الدواء
عما يسويها ولا يزال بعد تحقق حقيقة لها . ويستدعي مآثر
تضحياتها . ثم يحمل هذه التصحية حزامها . وهذا دهر ما الذي
في الإنسان . ونفس الإنسان هي السفينة التي تحمل هذه التضحية
إلى الشاطئ الآخر .

نحن نستطيع أن ننظر إلى نفسنا من مطهرين مختلفين .
النفس التي نطهر ذاتها . والنفس التي سمو بها ونظروا معناها
الصحيح . ولكي نطهر النفس ذاتها نحاول أن تكون كبيرة ،
نقف على قاعدة مما نجمعه ، وأستبقى كل شيء لأحلمها . ولكن
إذا أردت أن تظهر حقيقة ما فأنا تهب كل ما ليها ، لتدوي كأنها
كالزهرة التي تفتح من أكمامها ، ونحب من جام حبها كل
ما فيها من جمال وعذوبة .

إن المصباح يحتوي على ربه الذي يحبه فيه ويحمله من القند

وإفسارة ويستعمل ذلك عن سائر ما حوته . وفي هذا يؤيده
وطالمة . والسكك . إذا نوى . ممرعان ما يوجد معده . رتتم صلته
سائر الأشياء بعيداً وقريباً . وصحى عرامته من الريت بحور بته
يعنى لشر .

وهذا كهد المصاحح نظر في طلام ما دامت تعون
ما تملك . ومصحح حاتم من فصح المرضي الصحيح . فإذا وجدت
صياها سبب فيها لحطة ، ثم روت الصياء علي . اتسخدمه في
كل ما لديها ، لأن في ذلك اشتاق وطهرها . وهذا الظهور هو
الحرمة التي تذكرها بود فهو يطلب من المصاحح أن يهب زيتها .
ولكن منح الزيت تغير عرض ما يزال فقراً أشد حسكة وهو
ما لا يقده على الإطلاق يجب أن يهب لمصاحح رينه للصياء .
وبذلك يثبت المرض الذي يحفظه في أعماقه وهذا هو التحرر
إن الطريق الذي أشار إليه بوداً لم يكن القعود عند تضحية
النفس ، ولكن في توسيع نطاق الحب . وفي هذا يظهر المعنى
الصحيح لإرشاداته .

إذا عرفنا أن حالة « لردانا » التي يشير إليها بوداً

لا تكون إلا عن طريق الحب ، أيضا بأن ردها هي أسهل ما يعرف
من السوق في الحب لأن الحب مهيبته في حدوداته وكل شيء
سواء بشير في «عوضا هذا السؤال « لماذا » وبحسب ما يرى عليه
ولكنه حين نقول كلمة « أحب » لا معنى لحمل الكلمة « لماذا »
لأنه الجواب الأخير في ذاته

لا شك أن كل شيء حتى حب النفس يسوق الإنسان إلى
أن يهب ، ولكن بحب الله يفعل ذلك محبا عليه كما تقص
الثمره قبل بضوحها ، فتعرفها من شجرتها وتحدث فروعها . ولكن
الإنسان حين يحب يصيح الاعطاء لديه نوعا من السرور
كالشجرة حين تحاط بأوراقها كفة الماصحة من حمار الخوان
بما سائر ما نلث من ملك ومتع شفاها بخديرة الرعاش المسنة عن
حبة الشمس ، ولا نستطيع أن نتركه بسهولة ، وكأنه شيء صادر
عن طبيعتنا ، ملاصق لنا كجلد آخر لجسمنا وأما المديدا « نزع
ما شيء منه إلا أنه دين يستولي علينا الحب تمقلب الحال ويصبح
قوة وهي تدل على انقياس من ذلك . فبعد أن هذه الأشياء
التي نلزمنا نغفد ملازماتها وننخلي عن تقاها ونعرف أنها ليست
مما ، ولا شمر محسرة على الاحلاق عند تركها . بل انما نجد
في ذلك موافقة لطبيعتنا .

وهكذا نجد في الحب الصحيح تحريراً نفسياً ، ونعرف أن ما يعمل عن طريق الحب هو وحده الذي يسهل له بحريتنا ، مهما بسب لنا من آلام . لذلك فإن العمل في سبيل الحب حرية في العمل . وهذا هو المعنى المقصود في (الحيت) بعبارة العمل بصدق عن المرض .

يقال في (الحيت) يجب علينا أن «نعمل» ، لأننا نأمل وحده نستطيع أن نظهر طبيعتنا ، لا أن هذا الاظهار لا يكون تمام مادام عبد لم يتحرر . وفي الواقع ، أن طبيعتنا محجبة بالعمل الذي نعمل تحت ضغط الحاجة أو الخوف . إن لأم نظهر نفسها بخدمة أطفالها وكذلك حريتنا الصحيحة ليست الحرية المستمدة من العمل ، ولكن الحرية في العمل ، ولا يمكن أن تنال إلا بعمل الحب وعمله بتجلي الله في صنع الخليفة . ويقال في الانشد : إن المعرفة راقوة والعمل تدبث من حقيقته وليست مهروسة عليه من الخارج . ذلك فإن حريته في عمله ، وهو في حقيقته يحقق نفسه . ويقال هذا في حاجة أخرى عبارة أخرى : « من السرور تدبث هذه الخليفة جميعاً ، وفي السرور تدبث » ونحو السرور تقدم وفي السرور تدخل » ومعنى هذا أن حليقة الله لا تستمد منوعاً من الضرورة أيأ كال نوعاً ؛ إنما تدبث عن السرور الذي يمتلك .

به؛ وإن حبه هو الذى يخلق؛ وذن فان خطيئته هي الصورة التى
يتجلى فيها .

إن الفنان الذى يجد سروراً فى اكتمال فكرته الفنية يسعدها
وكما أمدتها عنه امتلأت نفسه بها . والسرور هو الذى يوصل
بوصفنا عنا ثم يهبها صورة فى مخلوقات الحب ليجمعها ثم اتصالاً
بها . إذن فلان من هذا الاتصال ، وان كان اتصال الحب لا اتصال
الكراهية . إن الكراهية لها عصر واحد وهو عصر الشدة . ولكن
الحب له عصران . عصر الشدة وهو مظهر غضب وعنصر الوحدة
وهو الحق الأخير . وأنه فى ذلك كالأب حين يقذف ابنه إلى
أعلى ويدرك أنه يابده واخترقة على خلاف ذلك

وهكذا يجب أن نعرف أن معنى محبة لاثنين فى اتصالهما من
شئ ومن الآخرى . ولكن يقين فى تحقيقها المتواصل أوجباى
لوحدتهما من الماحمة الفارعة من القماش ، ولكن من الناحية التى
تمثلها الصورة

من أجل هذا كان فلاسفةنا يصفون اتصال الشمس بأنه مايا
أى باطل ، لأنه ليس له حقيقة فى ذاته وإنه يبدو شئ حطرا وإنه
ليدفعها إلى عرائها إلى علو طائش ويشر ظلاماً على وجه الوجود .

تبدو في حالة من الحرق خبايا وتلذذ والتفكير ، متكبرة منطرسه
عقيدة . وسهال على استعداد دائم لأن تسترق باقى الحقيقة من نرونة لتضمن
شبهاتها لخطه وسحدة ، وتترع بيد طائفة قسرية كل ما يحصله طائر الجبل
القدس من لوريش اتربى قمعها يوما واحداً . لاشك أن في تاريخ
الأسان ماسر حبيته إلى الأبد سمة المصيان القائمة اللون .
واسكن هذا حبيته ، يزال (مايا) نى انه باطل يشبه الجمل . به
الصب ورس هو الشمس وانه قد حزن الأسود الذى يقى . عن
الراطب

تصور همجية في حالته بظن أن لورقة المالية لها السحر الذى
به يستطيع مالكم . أن يزال كل ما تصبو إليه نفسه . فيدور ورق
ويحفيه ، وينداوه ، سائر الطرق الناطلة إلى أن يصل إلى النتيجة
وهي أن هذه الأوراق لا قيمة لها في ذاتها على الإطلاق وأنها
لا تصالح إلا أن يلجأ بها في المار . واسكن الرجل العاقل يعرف
أن الأوراق المالية جميعها (سي) ولا تكون نعمة إلا إذا سلت
إلى المصرف . ان أقيديا أى جهلنا هو الذى يجهلنا مستعد أن
نصلنا من نعتنا له قيمة كالورقة المالية في ذاتها . ونحن إذا فعل
نحت تأثير هذا الاعتماد نصح نفسا لا قيمة لها . ولكن حين
يذهب الجمل (أقيديا) تعود لنا هذه النفس ذاتها نرونة لا تقدر

لأنه يظهر نفسه في صور لا تنفى كما يتعلمه سروره ، وهذه الصور منفصلة عنه ، وقيمتها بسروره الذى يمنحه لها . فإذا حولنا هذه الصور إلى ذلك السرور الأصيل ، وهو الحب ، استطعنا أن نقدمها إلى المصروف ومن ثم نجد حقيقتها .

حين يساق الإنسان إلى عمله محض الضرورة يسير وفق المصادقة والاتفاق ويصبح العمل نوعاً من السديس المصطنع . فإذا غيرت الضرورة مجراها رث هذا العمل ، ونفد دوره الدمار ولكن إذا كان عمله متمسكاً عن السرور ، سكوت للصور إلى يتخذها عناصر الظهور والخلود فى الإنسان يهبه نوع يقينه .

إن مسا لا تنفى وهى صورة من سرور الله . وذلك أن سروره « أمر تمام » ، دائم وهذا يجعلنا نشك فى الموت ، وإن كان لا يشك فيه . ولكن يتبادى هذا التساؤل الكافى فينا وبوقى بينه يجب أن نصل إلى هذه الحقيقة وهى إن نعمة وحدة فى ازدواج لموت والحياة ونحن نعرف أن حياة الروح المحدودة فى تفسيره واللاهائية فى مبدئها يجب أن تمر من أبواب الموت وهى تسعى فى طريقها نحو تحقيق اللاهاتى إن الموت شيء فردى ، لا حياة فيه . ولكن الحياة شىء مزدوج . له مظهر وحقيقة . فالموت هو ذلك المظهر « الظاهر » وهو رقيق لا يهترق

الحياة . ولكن تبقى نفسها يجب أن تمر في طريقها بتغير متواصل
وإرادة في صورتها . وقد ينتهي هذا إلى موت دائم وحياة دائمة
يسير من حتماً إلى جنب في وقت واحد ، إما في الحقيقة ، طلب
الموت حين نوهض أن نقل الموت . ويريد أن يحمل للنفس صورة
لا شعير ، «لأنه من أي داع يجرها إلى الظهور ، وتعمل حدودها شيئاً
تتألم ، ثم تعمل على هذا الاعتناء . وتأتي دعوة مهيبة إلى الموت .
إسبالت في الحقيقة دعوة إلى الفناء . ولكن إلى الحياة الخالدة .
وتعني غروب المصباح عند شروق نور الصباح . ولا تعني رول
الشمس . وهي في الحقيقة بمثابة دعوة إلى تقدير الرغبة الباطنة ،
الكامنة في أعماق طبيعتنا عن طريق الوعي .

ويحتاج في كيانها إلى أنساني روحان مزدوجان من الرغبات ،
تحت عايناً أن من اتوحيدهما . أحدهما يدخل في دائرة طبيعتنا
المادة ، ونفيسه على لدرام . ونحن نريد أن نستمتع بطعامنا
وشرابنا ، ونسعى وراء السرور الجسمية والراحة . وهذه الرغبات
مركزة في النفس ، ونهتم اهتماماً فردياً برفعها الذاتية . فرغبات
الخلق تسير غالباً وفق ما تسمح به المدة

والسكن لدينا روحاً آخر ، وهو رغبة دستورنا الجسدي ، صحة
عامة ، ونحن لا نعيها عادة لأننا من إرادة الصحة . ونقوم بعملها

في الإصلاح والتعديل ، وتحقيق مرمية جديدة كلما أمرنا بحادث
وتسوى الميزان بمهارة فائقة حيث يضطرب ، ولا شأن له بسجوح
وغيانات الجسمية المباشرة . والسكها تسير الى ما ورد الآونة المصيرة
وتعد مذكيا ، الجسماى نصفه عامة ، ويصل حياىسا ماصيا
مستفطبا ، وتستحق وحدة أحزانها . والأسان العاقل يعرف هذه
الرغبة ووفقى بها وبين رعمات حصه الأخرى .

وإن لنا عسما أكر وهو الجسم الاحتماعى والمجتمع نظاما .
رغبانا الذاتية فيه باعتبارنا أحرارا منه . فريد مسرتنا وحرقتنا
نريد أن نذل أهل من كل اسان ونفجى أ كثر من كل اسان ومن
ثم نشأ الماصلات والمشتحات . ونكن نمة الرعمه الأخرى الكامنه
هنا ، تعمل عملها فى اعماق لكان الاحتماعى . وهى الرعمه فى
حيز المجتمع . امها تعطى حدود الحاضر وتتعدى كل . هو شجعي
لأما تقعاى الى جانب اللانهاى .

والأقر من دوحه بين الرغبات التى تعمل على ارضاء النفس
وبين الرغبة فى إسعاد المجتمع . وذلك وحده . ينطبع أن يحقق
نفسه العيب . والنفس تسمى المصالحها فى وصفها المحدود . فهى
لا تعرف الرحمة فى محاولتها أن يكون لها نصيب أوى من غيرها
والسكها فى وضعا اللانهاى تصيح رعمتها أن سال هذه الوحدة

التي تؤدي إلى كمالها لا إلى عقمها حسب .

فتحرير طبيعنا الجسمية في الوصول إلى الصحة ، وتحرير
 كيانا الاجتماعي في بل الخير ، وتحرير نفسنا في الوصول إلى الحب
 والأخير هو ما يصفه بودا بالقضاء . أي فناء الآماية . وتلك طبيعة
 الحب . وهي لا تعود إلى الظلام ، ولكن إلى الضوء . وهو الوصول
 إلى (ودهي) أو البقطة الصحيحة . وتجلى السرور اللاهث في
 نفسنا عند الحب

إن رسالة هذه خدمت من طبيعتها وهي مستقلة للوصول إلى
 الفرح حتى يتم التوافق بينهما وهذا التوافق لا يكون لزاما .
 وهكذا فإن إرادتنا في الترويج تقدمها تتقدم في استقلالها وعصيانها
 نحو الكمال الأخير . ويجب علينا أن نقدر احتمال الوضع السلبي
 وهو المرحب الذي ناله ، قبل أن نصل إلى الحرية الإيجابية .
 وهي الحب .

وتستطيع هذه الحرية السلبية . حرية الإرادة العسية أن نزل
 ظهر هادون أسمي ما لديهم من الإدراك . ولكنها لا تستطيع أن تفهم
 نفسها عن اتصالها كلها لأنها تفتقد منهاها . إن إرادتنا
 النفسية لها حريتها إلى حد محدود . وهي تستطيع أن تعرف

عاجب أن يزال من الطريق ، واسكنها لاستطاع أن تستمر في
 هذا الاتجاه إلى غير حد . ونحن محدودون من ناحية السلبية
 ويجب أن نقف عند حد في أعمال السيئة ، وفي تيار نظاما الفاسد
 لأن الشرايس بالشيء اللاهائي ، والفساد لا يكون نهاية في حد
 ذاته . إن إرادتنا تنال الحرية لكي تدرك أن طريقها الصحيح
 هو الذي يؤدي بها إلى الخير والحب . لأن الخير والحب شيء
 لانهائيان ، وفي اللاهائية وحدها تحقيق الحرية الممكنة في آتم
 صورها . وهكذا فإن إرادتنا لا تكون حرة في حدود نفسها حيث
 تكون (مايا) وسلبية ولكن في سيرها نحو غير المحدود حيث
 الحق والحب ولا تستطع حريتها أن تسير عكس مبدأ حريتها
 وتكون حرة بعد ذلك أو تنتحر ثم تدعى الحياة . ولا يمكننا أن
 نقول اننا يجب أن نسل حرية لانهائية لكي نحمي أنفسنا ، لأن
 القيد يقضي على الحرية

كذلك نحن في حرية إرادتنا بحدس لا ردواج القنم بين
 المظاهر والحق — وإرادتنا النفسية ليست سوى مظهر الحرية
 واحد هو الحقيقة . وإذا حاولنا أن نجعل هذا المظهر مستقلا عن
 الحقيقة فإن محاولتنا هذه تقي علينا بأسوس . ونترن في النهاية على

تحدوثها . والكل شيء في الحياة . هذا الإزدواج (مايا وستيم)
 أى المظهر والحقيقة . والكلمات تكون (مايا) حيث تصبح محض
 أصوات وتكون محدودة . وتكون (ستيم) حين تصبح
 فكرة وتكون لانهائية . فمع (مايا) حيث تكون فردية
 محدودة . وحيث تمدد اعضاها شيئاً نهائياً . وهي ستيم حين تدرك
 جوهرها في لشمس وللانهاية في الشمس العليا في (مارامانان)
 وهذا ما قصد به المسيح قوله (قبل امرهم كنت أما) . وهذه الأما
 الأبدية هي التي تتكلم في أما الكائنة في نفسى وأما الفردية
 تصل إلى غايتها الصحيحة حين تحقق حرية اتحادها بأما اللانهائية
 وهنا يبدأ إطلاقها من أسر (مايا) المظهر الذي يصدر عن
 (قيديا) الجاهل . ويظهر تحررها الصحيح في موضع الحق ،
 والقوة الصحيحة للخير . والارتباط اتمام رباط الحب

إن هذا الاتصال عن الله لا يوجد في نفوسنا حسبنا ولكن
 في الطبيعة كذلك . ويصعب ولاسهما بأنه (مايا) لأن الاتصال
 لا يكون نفسه ، ولا يمكن أن يحد لانهائية الله من الخارج وإرادته
 هي التي تضع حدوداً لنفسها . كما يفعل لاعب الشطرنج وهو يحد
 من إرادته ، ويقيد بها حركة القطع التي أمامه . ويدخل طائفاً في

علاقته المحدودة بكل قطعة بذاتها ، ثم يحقق مرور قوته بهذه الحدود نفسها وليس معنى ذلك أنه لا يستطيع أن يفتل قطع الشطرنج كما يشاء ، ولكنه إذا فعل ذلك لا يبقى ثم محل للهيب . وإذا كان الله يطلق قدرته المسجرة عماها فإن حليته تصل إلى نهايتها وتمتد قدرته كل معنى لها ، إذ أن القوة لا تكون قوة إلا إذا كانت تعمل في حدود . شاء الله يجب أن يكون مسؤولاً عما تسكون إلا أرضاً . والقانون الذي جعلهما ماء وأرضاً هو قانونه الذي به قد فصل بين الامة واللاعب لأن في ذلك سروره

وكما أن الطبيعة تفعل عن الله محدود القانون ، فإن حدود الدانية هي التي تفصل بين النفس وربه . وبه بإرادته يصنع حدوداً لإرادته ويعطينا السيدة على عالمنا الصغير . وهو في هذا كالأب حين يهب ابنه مقدراً من المال ويحمل له حرية التصرف في حدوده . وهذا المال وإن كان يفلح حراً من ملك الأب إلا أنه يخرج من نطاق إرادته . والسبب في ذلك هو أن الإرادة وهي إرادة الحب التي تستمد من حريتها لا تنصل إلى تلك الحرية إلا باتحادها بإرادة حرة أخرى . والطائفة يعتمد كل الاعتماد على عبده الأرقاء ، وعلى ذلك فهو يعمل على جعلهم نافعين له كل النفع باخصائهم

لإرادته . ولكن الحب لا بد أن تكون له إرادتان لتحقيق حبه . إذ أن كمال الحب لا يكون إلا بالتوافق ، والتوافق لا يكون إلا بين حريتين . وهكذا فنحن حب الله الذي تتخذ هــا صورة منه وقد فصلها عن الله . وحب الله هو الذي يهود ديني . الوحدة ويصل بين الله وبين نفسها في ظل هذا الاتصال . وهذا هو الحب الذي يجعل نفسها تسير في طريق لتحديد الذي لا حده لأنها لا تستطيع أن تسير في بيار الاتصال إلى الأبد . فالانفصال هو النهاية التي تحد فيها حدودها تتراجع شيئاً فشيئاً إلى مسماها اللامهائي .

ومن واجب النفس أن تطرح منها على الدوام وتقدم من حدوده في عالم الفسيفساء والموت ، لكي تحقق شيئاً من الخلق . ويجب أن نشق شخصيتها في العالم الشامل آناً بعد آناً ونمر منه بالفعل كل لحظة على الدوام حتى نجدد حياتها الفردية . وعليها أن تسير العمم الأبدي وليس الوحدة الجوهرية في كل خطوة . بذلك يظل ، مصفاً في توارن بين الجمال والقوة .

إننا نشاهد في كل مكان قصة الحياة والموت — أو نخرج القديم إلى جديد . وإن اليوم ليقبل علينا كل صباح عرباناً أبيض

غصا كالزهرة . وان كما نعلم أنه مديم إنا القدم بعينه . فهو نفس
اليوم العتيق الذي استقبل الأرض وهي مولود جديد بين زراعيه
وغطاها بدثاره النوراني وسها قدم إلى رحلتها بين الكواكب
أقدامه لم يدركها النصب وعبوبه لم تصبها عشاوة . فهو يحمل
العودة المذهبية من الأندلس إلى إسبانيا . ويلمسه منه نحي سائر
الافسون من وحه الخليفة . أن في أعماق قلب العالم شابا لا يفنى .
وضع الموت والاصحلال على وجهه طلالا وفتيه لانتبث أن
تزلزل ، ولا تترك أثرا لخطواتها . ويبقى الحق عصا يابغا .

ان هذا اليوم المريق في القدم . يولد ثم يولد كل صباح .
ويعود إلى حيث تقف موسيقاه . فأذا كان مسيره في خطه مستقيم
لا حيله ولم يكن له ذلك الموقف الرهيب إذ يغمس في هوة الظلام
ثم يولد ثانية في الحياة التي لا تنتهى لها بداية ، فانه يرث مع الزمن
ويدفن الحق بنزاه ، ويشترى الأرض فتدأ لا ينقطع من أثر
خطواته الثقيلة ومن ثم تحامى كل لحظة عبثا أنقلا وصبا .
ويتسوا المعجر عرشه في ظل القذارة الاديبة .

ولكن اليوم يولد كل صباح مع الارهاق المتفتحة حديثاً

حاملًا نفس الرسالة التي تتكرر والتوكيد الذي يتجدد : بأن
الموت يموت أبدًا ، وأن الأمواج الهائجة لا تتحارب الأديم الظاهر ،
وأن بحر السكينة لا فرار له . وليس إلا أن ينجاب ستار الليل
ويظهر الحق لا تعلو قهازه درة من تراب أو يبدو على وجهه حدود
من عضون السن

صحن يرى أن ذلك الذي هو قبل كل شيء يبدو اليوم كما
كان . وإن كل مدة في الحس الخليفة تخرج غضة من فيه . وليس
الكون مجرد حدى يتكرر من سماء إلى سماء كالأفاق الذي
لامدوى له ، أو صدى أعية قديمة أقيت في ظلام البداية ثم
عاشت يتيمة . إنه لا يخرج كل لحظة من قلب السيد ، ويتعسف
في أنفاسه

لذلك فهو يمتشر في أنحاء السماء كالسكرة في الصورة
الشعرية ، ولا يفصل إلى أجزء تحت ضغط ثقله المجتمع . ومن
ثم كانت الصور العديدة التي تذهل العقول . وحدوث ما لا يمكن
تمثيله في الحياة . وهو كالأفراد الذين لا يشبه أحدهم الآخر في
الطليقة . ولا تنهى الدانة في المدة والنهاية . والعالم قديم إلى
الأبد جديد إلى الأبد .

إن نفسها يجب أن تعرف أنها تولد جديدة كل لحظة من حياتها
ويجب أن تتحرر من سائر الأوهام التي يحبسها في قشرتها وتظهرها
في مظهر السكر ، وتنقلها إلى الموت .

فالحياة شباب أبدى ، وإيها لسكره الشيخوخة التي تفرق
مسيرها ، ولا تنتمى للحياة في حقيقتها ، وإنما تنص كما ينزع
الفلل المصباح .

وحينئذ كالهر إنا يصرب شطآنه لا ليصد أنه محبوس بيها
ولكن ليذكر على اندوام ، أن له مصرفه الذي لا نهاية له إلى
البحر وهي كالقطعة من الشعر التي تصطدم بأرر به في كل خطوة
ولا تريد أن تسكت تحت أسماء فيودها الشديدة ، وسكها ترم
بذلك أن تعبر في كل لحظة عن حريته وحديثها الباطنة .

إن أسوارهم ديتنا تردنا نحو حدودنا من ناحية ، وتقودنا من
ناحية أخرى إلى غير الحدود . ونحن حين نرد أن نحمل هذه
الحدود لانهائية تقع في انقاص ونال حياة الشيء .

وعلى هذا تقوم الثورات المعطى في تاريخ الانسانية . حين
يحترق الجزء الكلى ، ويحاول أن يشق لنفسه طريقا منفصلا عن
غيره . مقدمه القوة الكليته دفعة عبيده وتوقفه بصفة ثم ترغمه في

الغراب . وحينئذ يحاول الفرد أن يضع هذا التيار قوى العالم المتدفقة ،
ويحبسها في نطاق فائده الذاتية فإنها تؤل عليه بالدمار . وكيفية
تكون قوة الملك عامة لا يستطيع أن يشهر سطوة عصبائه في
وجه مسع القوة اللامهائي ؛ وهو الوحدة ، ثم بطل قويا .

لقد قيل : إن الناس يهاخرون بالباطل ، ويظفرون برعائهم
ويقتصرون على أعدائهم ، ولكنهم يفتلحون من جذورهم في النهاية
ويحتملون العناء ، فإذا أردنا أن نعال العظمة الشخصية وجب
علينا أن نمد جذورنا في أعماق الكون

إن عربة نوح هي أن تمتد عن هذه الوحدة ، وعليها أن
تحمل رأسها للعب ولوداعة وتنبؤاً مكانها حيث يلتقي الكبير
والصغير وتربح عاتقها وترتفع عما تحيط . إن أعباء الطفل لترعبه
بالدلم يرجع إلى أمه ، وإن زهونا شخصيتها يكون أمة علينا إذا
لم نهبها للحب . ويجب أن نعلم أن إنداق اللامهائي فينا هو الذي
يبقى جديداً إلى غير حد ، ويظل حبيلاً إلى الأبد ، وهو الذي
يهب المعنى الذي لا معنى سواه .

تحقيق الحياء في الحب

الآن نصل إلى المبحث في تلك المسألة الأبدية ، مسألة اجمع
اللاهوتى «اسمائى» ، والكائن الأعلى بروحه الإنسانية . ومن ثم
يظهر التناقض المتغلغل في جذور الوجود . ولا نستطيع أن نحوم
حول هذا الموضوع ، لأننا لا نستطيع أن نقف على عتبة مشكلة
وزنها امام «اثر الاحتمالات» . ولكن هذه المشكلة لا وجود لها
إلا في عالم المطلق . فما هي الحقيقة فربى لا نقيم أمامنا صعوبة
أيا كان نوعها . وإدراككنا عن طريق المطلق ، وحد ، أو البعد
بين نقطتين ، مهم . يكن طرف إحداهما من الأخرى . يصح أن
يقول أنه لا معنى . إذ أنه من المستطاع أن يسمم إلى آخره لأحد
هـ . والسكنا في الحقيقة نتجه للاسمائى في كل خطوة ، ونتمصل
بالأبد في كل لحظة . مما جعل بعض فلاسفتنا يقولون : يس في
الوجود ما يسمى بالحدود . أنه (مايا) أى تصور خاطئ . أما
الحقيقة فهى في اللاهوتى وأن ما اسميه (مايا) أو الناطق هو الذى
يريد صورة الحدود . ولكن كلمة مايا لفظ غريب ولا يستعمل
وهو كقولنا إن الحق صمد تلك الصورة التى تخالف الحق .
ولكن كيف اجتمعنا في وقت واحد معا فداء لا يذكره .

إن في حينئذ ما نسميه في اللغة التذكيرية (قاطعاً) سلسلة
من الأشياء بحاف بعضها بعضاً ، كالخشب اليابس والجانب
الصلبي والقوة المتحركة والقوة المتعددة ، والشئ الذي يجذبنا
إليه ولشئ الذي يصدنا عنه ، وهذه كذلك ليست إلا أسماء
لحسب ، وليست تفسيراً . هي حرق محتاجة نشت أن العالم في
جوهره مجموعة مزدوجة من القوى المتضادة . وهذه القوى بمثابة
اليدين اليمنى واليسرى للحائقي ، وهما تعملان في اتحاد كامل ،
وإن كانتا تعملان من ناحيتين مختلفتين .

إن بين عيونا الاثنين وحدة اتصال فعملهما ، يعملان في اتحاد
تام . كما أن في عالم الطبيعة اتصالاً لا ينقطع بين الحرارة والبرودة ،
وبين الضياء والظلام وبين الحركة والراحة . كذلك الاتصال
الذي يجمع بين القرار والذات في تغات الوجود . بذلك كان
هذا الاختلاف في الحياة ولم يحدث منه إخلال في نظام الكون
بل قامت فيه وحدة وانتظام . وإذا كانت اندمجة شيئاً متاهراً
فإنما حقيقون أن تصور كيف يتراحم كل من هذين ابدانين
المتضاد بين ليعود كل منهما على الآخر . ولكن الكون لا ينحصر
في سيره نظام عسكري ، يقوم على الاستعداد ثم الحركة الزوال .

ومعنى في هذا المقام لا بعد قوى تنطلق على غير هدى ، أو تدور
بغير حدود في طريقها الوعر ، كالسحبين تخرج على القابون
وتقطع كل صلة بينها وبين ما يحيط بها كلا . أن الأمر نقيض
ذلك . فان كل قوة من هذه القوى تعود في حط منحصر إلى حيث
تم التواصية فيها جميعاً .

إن الأمواج تملأ ، وترتفع كل موجة معها ارتدادها العردي
وتبدو كأنها في صراع مستمر ، ولكن إلى حد محدود . ويظهر
هذا في هدوء البحر الذي اتصل به حياً ، وتعود أذراعها إليه
في نظام توقيعي ، آية في السحر والجمال .

والواقع أن هذا الموج والاهتزاز ، وهذا اللطو والمهبط ،
لا يرجع جميعه إلى خطأ مصدره من الأجساد ، ولكنه في
الحقيقة رقص موفى . والتوقيع لا يصدر عن صراع متنافر في
معركة ، لأن مبدأ القويم الواحد لا التنافر والاختلاف .

وهذا المد الذي قوامه الوحدة هو سر الأسرار . فالأردواح
تسير في عقول هؤلاء ، بعد جوابه في الوحدة . عاداً وصلنا في
سهاية إلى وحد علاقة بين هذين الاثنين ، ووجدنا أنهما شيء
واحد في جوهره ، أحسبنا أننا وصلنا إلى الحقيقة ، ووجدنا جدّاً

لأشد المقاصات لدينا ، وهو ن يدور الواحد متعدداً ، وأن
يحالف المظهر حقيقة ، وإن كان يعمل بها اتصالاً لابنهم

ومما يبعث على السحب أن يعتقد بعض الناس شعورهم بهذه
الأسرار ، التي تتغلغل في أعماق مسراتهم . وهم يكتشفون وحدة
القانون في دحوة الطبيعة المختلفة . وكان قانون الجاذبية لا ينفق
في نظريتهم أكثر من سقوط نفاحة عن الأرض . وقانون التطور
من نوع إلى نوع آخر في سلم الخليفة ، ليس أكثر من تعاقب
المحاوالت . والعاء في هذا هو أن كثيراً ما نفق حيال مثل هذا
القانون ، كأنه غاية بحثنا ، ثم لا نجد أنه قد بدأ في تحرير
روحنا ، وأنه ليس سوى شيء برعى تفكيرنا ، وما دام لم يرض
سائر وجودنا فانه يقتل فيما روح الإحساس باللاهية .

أما إذا نظرنا بطريق التحليل إلى قطعة من الشعر الرميع ،
وحدنا أنها ليست سوى مجموعة من الأسماء والأوزان ، ولكن
التدريج الذي يستخرج المعنى وهو الرابطة الداخلية التي تصل
هذه الأقسام في ظاهرها . يكتشف قانوناً شاملاً في التمهيدية بسلسل
في سائر أبياتها ، ولا ينفصها في شيء . على الإطلاق ، ذلك هو
قانون تطور المعاني ، فنون الموسيقى والشكل .

إلا أن القانون خلق ذاته . وأنه ليس في الامكان
أحسن مما كان . وكذلك شأن الإنسان الذي يجعل كل
البحث عن حقيقة الحوادث والأعراض ، يخصص لسلطان القانون
وهو يحاول أن يمر من سلطان الحوادث . اما حين نصل إلى قسم
لغة فنحفظ الكثير من مفرداتها . إنما نضع قانون الكلمات .
وإذا وقفنا عند كل موضع ، وعمينا تكوين اللغة والبحث وراء
ظهورات المختلفة لاصل إلى العاية . إذ أن النحو غير الأدب ،
والعروض شيء غير الشعر .

فإذا سمنا للأدب وحده أنه نوع من السموز ، وإن كان
يشمل قواعد اللغة ، أنه الحرية نفسها . وجمال الشعر ، مقيد بقوانين
رفيعة ، وإن كان يعبر عليها والقوانين للشعر بمثابة الأجيحة ،
لا تثقله بحيث يهبط إلى الحميص ، واسكنها ترتفع به إلى آفاق
الحرية . فإله مقيد بالقانون ، وروحه تحقق بالجمال . والقانون هو
الخطوة الأولى نحو الحرية ، والجمال هو الحرية ، السكاملة القائمة على
قاعدة القانون . والجمال يوفق في نفسه بين الحد والبراءة وبين
القانون والحرية .

في الشعر العالي ، نجد أن الوصول إلى قانون نظمه ، وحر كاته

رواقه . وتتبع بطور صورة وشخصياته ، بعد علامة من علامات
التحاج انكري ، ولكننا لا نستطيع أن نقف عند هذه الغاية ،
هي كحطة الدمار ، ولكن امر برز لمحة ليس دارما ، ولا يصل
إلى الحق المسمى إلا من يعرف أن العلم بجمه حتى سار ، ويقودني
هذا إلى التفكير في مقدار ما بين قلب الإنسان وبين الطبيعة من
أمرار ، أن لاطسه مظهر أعمينا في عالم النشاط انخارجي ، وكب
في قلوبنا وفي العلم سلطان له صورة مختلف كل الاختلاف

خذ مثلاً رهرة نبات من النباتات ، كيفاً كان جهتها وضرتها
هي محبوبة لؤدى عملاً كبيراً . من أنورها وصورها حجمها مائة
لتكون ملامحه لعمها . فليها أن تخرج الماء كمة ، وإلا انقطعت
حياة النباتات انوصلة . وانفست الأرض إلى صحراء فاحلة . قبل
وقت طويل ، إذن فقد حقق لبس الرهرة وعندها تعرض معين
فاذا انفتحها السحابة وحاء وقت ثمارها ، حامت أوراقها القديمة ،
وأحمرت بعوامل الفهدية وسبه . إلى أن تنبع رائحتها الحليمة ، وليس
لديها وقت أن ترعى بحالها . فهي في شغل عن كل شيء ، وهذا
مضرة إلى عدم الطبيعة حارج نفوسها بذلك أن ضرورة فيها هي
العمل الذي يعمل كل شيء لأجله ويتحرك من أجله . ونحن

تري أن البرعم يتحول إلى رهرة ، والزهره تصبح ثمرة ، والثمرة
تصير حبة ، والحبة تنمو دانا جديداً مرة ثانية . وهكذا تسير
حائقة نشاطها غير انقطاع . فإذا شأ وقوف أو اضطراب لم يكن
الاعتدال عنه مقبولا ، فإن ما يمضي عليه سوء الخط بأن يختنق في

حركته هذه الصفة يجمع ويدنو ويسم للفناء ويحتق عاجلا
وفي دوان الطبيعة العظمى إدارات عديدة ، نشاطها أعمال لا
يتركها الخمر والرهرة البديعة التي ترتدى حيل الخيال ، ونتمتع
أريجها كالغنى الأبيق ، ليست في الحقيقة كما تبدو ، بل هي
أقرب شيها بالعمل الذي يقضي وقته في الشمس والنظر ، لبقده
حسابا دقيقاً عن عمله ، وليس لديها متعسر لمتعة أو المرح .

هذا ولجت هذه الزهرة نفسها ملك الإنسان ، ذهب عنه
مظهر العمل ، ونصحت رمزاً للراحة والفرح . وهكذا
النشاط الذي لم في الفرح ، هو التعبير الصحيح عن الخيال
والسلام الذي هما في الباطن

ويقول المم في هذا الخيال أنها محظون ، وب الزهرة
ليست سوى شيء الذي يبدو لنا في الظاهر ، وأن صلة الخيال
والعدوبة التي نخل أنها تحملها لنا كلها من صنع أعسا ، وهي
لا مدد لها ومحض خيال

ولكن فسمما يحجب بأد' السما محضين على الاطلاق . وأن
الرهرة في محيط الطبيعة تحمل شهادة تركيها بالقطرة على القيام
بعمل باع ، يبدأ أسها حين تطرق باب قلوبها تحمل خطها للتعريف
بها يحتجب عن ذلك كل لاختلاف ، والحال هو مؤهلها الوحيد ،
فهي تأتي في ناحية كالعدوى الناحية الأخرى كاطبيق .
بكيف يصدق تركيها الأثرى وكذب الناية .

أن انحاء الرهرة إلى تحقيق عرصها في سلسلة التطورات التي
لا انصدم لها حق لانك فيه ، وانك له الحق الخارجى ، أما الحق
الداخل فهو

« من سائر الأشياء تولد من السرور الذى لاحد له »

والرهرة إذن ليست وظيقتها الوحيدة في عالم الطبيعة ، ولكن
ها وظيفة كبيرة في عقل الإنسان ، وعنده الطبيعة ^(١) إن علمها
في الطبيعة تحمل تخدام الذى يمد مظهره في أوقات معينة ، وانك
في قلب الإنسان تأتي كرسول من عند الملك ، وفي سطورة
(داماد) ^(٢) ان سنا حين فرق بينها وبين زوجها ، كانت

(١) قصة راما وسيتا معروفة في الأساطير الهندية ، وقد حدثت
سيتا من الشدة ، وذهب بها رافانا ، ملك الشاخير ، إلى مدينته ادهيه ،
ولكن روحه ، الأمير راما ، سردها بعد مخاطر وحروب طويلة حتى
يقنع رافانا .

انتخب وتعي سوه حظه، في قصر (رافانا) الذهبي، فتقابلها رسول .
يحمل خاتما من حبيبها (راماشندرا) معه ، فتفتت صورته سيفا .
بحقيقة ما يحمل الرسول ، وسرعان ما احسنت بأنه ودم حقا من
لمن حبيبها الذي لم يكن لينساها ، وهيا معه لتقادها .

وما أشبه هذا الرسول بزهرة من الحبب الاسمي . إذ
ه زنا نعش في مضي سهرل على الرغمة مما يحيط ديبا من الموكب
والزينات التي أشبه مديبة (رافانا) الذهبية ، وتقربها روح المختار
الديوي بشي للقرينات ، وتدعي عرسا . فتتقدم إليها الزهرة
رسالة من الشاطئ . الآخر . وتسري أذنها قنلة ، لقد أثبت .
وأنه قد أرسلني . ألي رسول الجيل الذي في روحه سعادة الحب ،
وأنه ليحيط الحريرة المعرلة . إنه لم يكن لينساكم ، وسوف
يخلصكم حتى في هذه الأونة وسوف يعودكم بحوه ، ويخلصكم به ،
أن هذه الصور الطادعة لا تترك في العبودية إلى لأبد . وإذا
كننا متيقطين لما يقول الرسول سألناه ومن أين لنا ذلك حقا فإد
من لديه؟ فيقول « اطروا ! إني أحمل هذا الخاتم ، أحمل حسنه
وأروع فذنة ! » .

هو لاشك خاتمه ، وأنه خاتم عرسا . والآن فليس كل شيء .

عداه . ان هذا الرمز الجميل الذي يحمل سمة الحب الأبدى وحده هو الذي يعيد بالشوق العميق ، وسدور أن القدر الدهي الذي نحن فيه ، ليس به عيبا من سلطان ، ان حلاصه خارج حذر به حيث يجد حيفا ثماره وترى حياتنا طريقها .

ان ما نراه النحت في نصيمة لونا وعطرا ، أودسوما وفطانتين لها عن مواضع الشهد ، هو لغز الاسرار خيال وفرح لا تمسده الضرورة . وانه لا يحمل به رسالة محبوبة بلوان من الحزن متعددة الأصابع

نقد حدثك ذلك ان الطليعة الحارة مهما يكن من شأنها في الحياة الصارخة : فان لها مستروحا في نطاق القاب تروح فيه وتغدو حرة طليعة ، محردة من أية صورة . عتنتحول بار مصمها إلى مصايح فراح ، ويسمع صديح مغلها كأنه الموسيقى المعلقة . ان لسانه الحديدي الى تدو من وراء العلة والزر ثقيل ورثها خارجا ، في عالم الطليعة ، ولكن سرورها المحض . يظهر في قلب الأسد كانه أوتار عود مصنوعة من الذهب .

وقد سدو من السجيب في الحقيقة ، أن تكون لاطليعة هذين المظهران في وقت مما على ما بينهم من التناقض : احدهم رق

والأحر حربة . ويسمع عن الصوت واللون والدون وجهتان مختلفتان ، أحدهما تتم عن الضرورة والأخرى عن التمرح . فالطبيعة في المخرج تعمل ونصب وفي الداخل سكون وأمن : عمل في ناحية وراحة في الماحية الأخرى . فأنت ترى عموديتها حين تنظر إليها من الخارج محبب ، أما في القلب من الداخل فتري حملاً لا حمله .

هول ميتا « من السرور تولد سائر الحلائق ، وبالسرور تعيش وبحو السرور تترقى ، وإلى السرور تدخل » وليس معنى هذا أنه يجعل القانون أو أن تأمله لهذا السرور اللانهاي « شيء » عن نشوة معينة أهمها كذا في التفكير الجرد . أنه يدرك قوانين الطبيعة القاسية كل الإدراك ويقول إن النار تحرق خوفاً منه (بقوته) والشمس تشرق خوفاً منه وجوهاً منه ، قوم الريح والسحب وادوت بأعمالها جميعاً ، ذلك حكم القانون الحديدي ، وأنه ينزل العتاب عن يرتكب أقل مخالفة ، ومع ذلك من الشاعر تنفي هذه الأعمية المبرحة من السرور تولد سائر الحلائق ، وبالسرور تعيش وبحو السرور تترقى ، وإلى السرور تدخل .

إن الكائن الأبدى ليتجس في صورة الطيور، وظهره في الخليفة

يرجع إلى امتلانه به ، وحايية هذا السرور الفوير أن يحقق نفسه في صورة القانون . والسرور المحرد من الصورة يجب أن يحقق وجوده ويترجمها إلى صور . فسرور الخفى يتجلى في صورة الغناء ، وسرور الشاعر يتجلى في صورة الشعر .

إن دور الانسان كخلاق هو أن يحقق صوراً على الدوام وهذه الصور مخرج من سروره الوفير . هذا السرور الذى يسمى باسم آخر وهو الحب ، يجب أن يتحقق بطبيعته ، لازدواج الثنائى . فامنى حين يبرل عليه الأهم يحمل من نفسه معين . ففهمه مصحبا نفس أخرى هي نفس السامع . وجمهور كسامعين المخرج هو امتداد هذه النفس ، لأخرى . وكذلك المنحب يسأل عن نفسه الثابتة فيسبح . وا- سرور هو الذى يخلق هذا الاتصال ليحقق الوحدة في تلك الأنواع . إن لا امر يقامه أو السرور الدائم قد قسم نفسه إلى حزبين وروحها هي الجبر ، المحبوب لأنها منه الأخرى وهي متصلاون ، ولكن إذا كان هنا الاتصال مطلقا كانت الشقاوة والشمر مطلقين في الحياة . فمن إذن لا يستطيع أن يمال الحق من الداغل . ولا تأمل أن يصل إلى صفاء القلب من طريق الخطيئة ،

وكذلك يظل كل نقيص على حالته من التضاد ولا يجد وسامة
تتلاقى ما بين من الاختلافات أبد الأبدن . فلا لغة ولا تقام ولا
تعاطف بين القلوب ولا تبار في الحياة . ولكما على النقيص
من ذلك فمن نحدد انفصال الأشياء في حالة من البرونة ، وإن
مردياتها لتتغير على الدوام وتتقابل وتنفص كل منها في الأخرى
حتى يتحول السلم عساه إلى الدطريات العقية ، ونفقد المدة
حدودها ، وننق حدود الحياة شينا غير محدود .

أجل إن روحنا المرددة قد انفصلت عن الروح الكبرى ، وليس
ذلك لحذفها لها ، ولكن لامتلائها بالحب ، لهذا نجد أن الناطق
والشقاء والشر في الحياة ليست من الأشياء الثابتة فيها . إن روح
الإنسان تستطيع أن تهزأ بها وتغيرها جميعاً . بل إن في مقدورها
أن تجعلها إلى قوة جديدة وحال

إن المني يترجم أعنته إلى عدم ، وسروره إلى صور ، وعلى
السامع أن يبعد ترجمة القضاء إلى سرور محض . ، وأصله إذن كأمه
بين المني والسامع ، والسرور اللاهني يتجلى في صور متعددة وهو
مرتبط برماط القاعون ، وأما لنبيع حط حين سود من الصور إلى
السرور ، ومن القاعون إلى الحب ونفقد عقدة الحدود ونعود بها
إلى غير الحدود (اللانهائي) .

إن النفس الانسانية في رحمة ما بين القانون والحب ، وما بين النظام والحرية ، وما بين الأخلاق والروح . ويقول بودا إن ضبط النفس والحياة الأخلاقية ، هما قولان قدم للقانون . ولكن رباط القانون ليس نهاية في حد ذاته . فحين إذا أنكته إلى النهاية عدنا فاعتمدا على وسيلة لتسير إلى ما وراءه . وذلك أن يعود أذراحمنا إلى براهما ، إلى الحب اللانهائي ، الذي يتجلى في صور القانون المحدود . وهذا ما يسمى بودا (براهما فييرا) أي السرور بالحياة في براهما ومن أراد أن يصل إلى هذه المرحلة في قول بودا « يجب أني لا يمش أحدا ولا يحمل حملا لأحد ولا أن يفكر في أن يؤذي أحدا عند العصب . يجب أن يكون لديه حب لأحد له لسائر المخلوقات ، كحب الأم لاسمها الوحيد ، الذي تحمضه بحبائها ويشرحه فيها فرقه وما تحته وما حوله . بتغير حدود ولا موانع . طليقا من كل أنواع القوة والحصومة فأنما وقاعدا ، ماشيا ورائدا . حتى إذا أدركه اليأس ، ظل عمله شاملا في التعبير الشامل »

إن نقصان الحب درجة من درجات الجود ، لأن الحب هو تمام الوعي ونحن لا نحب لأننا لا نعرف ، أو على الأصح نشأ

لا نعرف لأننا لا نحب . فالحب هو المعنى الأخير لكل شيء . يحيط بنا . وليس هو عاطفة لحسب أنه الخلق ذاته السرور المتشعل في حذور الحقيقة أجمع . وهو النور الأبيض النقي ادلك الوعى المنعش من براهما وهكذا إذا أردنا أن نكون في وحدة مع «سرقاوبية» ذلك الشعور الكلى ، الذى يتجلى في السماء الظاهرة كما يتجلى في أعماق قلوبنا ، وحب علينا أن نتصل بهذه القمة الواعية أى الحب « من يستطيع أن ينتعش أو يتحرك إذا لم تكن أسسه ملأى بالسرور والحب » فنحن بارتعاع وعينا في الحب وشر روافقه حتى يشمل العالم أجمع ، نستطيع أن نال من (مراهما فيهيرا) صلتنا بذلك السرور الذى لا يحد .

إن الحب يهب نفسه في هبات لاعبد لها . ولكن هذه الهبات تفقد عظمتها الكبرى إذا كنا لا نصلى عن طريقها إلى ذلك الحب الذى يهب . ولكي نصل إلى ذلك العزم يجب أن يكون الحب مستقراً في قلوبنا . ومن حلا قلبه من الحب إنما يزن هبات محبه بغير ان انفعة لحسب . ولكن المنفعة شيء وقته وحزنى . ولا تشغل سائر حياتنا . إن ما ينفعنا يمسا في الرصع الذى نحتاج فيه أمراً من الأمور . فاذا تلقنا غايتنا ،

كان استمرار النفقة عبثاً على كاهلها وألحبت على خلاف ذلك .
فانه إذا عمر قلوبنا كان للاشربة الحردة قيمة لا تنفى ، لأنه ليس
مفيداً بأية منعمة . فهو نهاية في حد ذاته . وإنه لشيء يشمل سائر
حياتنا ، لذلك لا يحس منه عيب .

يستطيع الإنسان ، في أية حالة قبلنا هذه الدنيا ، التي هي
هبة السرور الكامل . هل استطاعنا أن نغناها في قلوبنا حيث
نردحها حاجتنا التي بعد ذات قيمة لا معنى . إننا نضل أنفسنا
إلى حد حيواني باستخدام قوى المكون - حتى يبتغى بها قوة فوق قوة .
مضطرم ونكتفى منها ، ونسعى على وجودها لئلا نحيراتها . ولا
تدبث أن نصير لنا كميدان للتماحر

والكن هل نحن خلقنا لذلك ؟ فداشر حق امتلاكنا عن
هذا العالم ؟ ونجده سلعة من سلع الأسواق وإذا كان فكرياً
لا يصرف إلا إلى تسخير هذا العالم لخدمته ، حسب ما به يفقد
قيمتها الحقيقية . ونحن نرخص ثمنه برعاينا الدبشة . وهكذا
نقصى حياتنا إلى النهاية نغذى به ونعقد حقيقته كالحامل الشره
الذي يمزق أوراق كتاب فيس ويحاول أن يرددها .

في البلاد التي يسود فيها أكل لحوم البشر ، ينظر الإنسان

إلى أحبه كأنه حرم من طعمه . ولا حياة المدبرة في مثل هذه الملاد .
لأن الإنسان به يقد عيسته المدبر ويصنع شيئاً عادياً . ولكن في
الحياة صنف آخر من أكلة اللحوم البشر زعماء يهايموا هذا الحد
من المطعة ، ولكنهم يسوا أقل فطنة من هؤلاء . وإنما
لا يذهب بعيداً إذا أردنا أن نصل اليهم . في الادترام في سم
الدية ، نجد أن الإنسان في بعض الأحيان ينظر إليه كأنه جسم
لا أكثر ولا أقل ، يساع ويشترى في السوق مثل لحم خنزير .
وتقدر قيمته بمقدار دمه ، فيحول إلى آلة صماء ، وينتجرب به رب
المال ليملأ المزيد منه وهكذا نتولد شهوتنا وريبت حشمت وحسنا
للراحة ، من أخص قدر الإنسان إلى أخط القيم . وهذا هو
خداع النفس بأوسع معانيه . إن رغباتنا نهمينا عن الحق الذي
يحملة الإنسان . وذلك أكثر خطيئة نجيبها بأيدينا على روحنا .
فصمت وعينا ، ثم تخرج بها إلى الانتعاش . أمهالتمت القرح القبيحة
في وجه المدبرة . وتلى موضوع الفساد فيها ، وترفع شأن الخقد
والخصومة . وبوطد أفقمة السجون القاسية . ونحبي طرق لا تتماع
ماتعاصر الأحمية إلى حد الدأب على الله ثم وحرمانهم من نظام
الحكم الذاتي ووسائل الدفاع عن النفس .

لا شك أن الإنسان يتعلم بالإنسان ، لأن جسمه آلة هائلة
وعمله عجيب في رأيه . ولكنه روح كذلك وهذه الروح
لا تعرف حقيقتها إلا صاحب . ونحن إذا ذهب من الإنسان سمور
السوق الذي يقدوه بمقدار ما يؤديه من العمل . فإننا لا نعرفه المعرفة
الصحيحة ، وبمهل علينا هذه المعرفة المحدودة أن نكون غير
عادين بحوه . ونحن نأعوز حين نستطيع حمل المصلحة أن نل
منه أكثر مما يعطيه . لكه ، إذا عرفناه كروح عرفنا أنه
مثل روحنا وسرعان ما نشعر بأن القسوة إليه قسوة إلى أنفسنا .
ونحفر شأنه يسترق من إلهة فتننا . وفي سعيه لاستخدامه لمفغتنا
الشخصية ، إنما يجي مالا أو راحة . ويدفع الثمن على حساب الحق .

كنت ذات يوم أمير في قارب نهر الخانج ، وكانت أمسية
من أمسيات الخريف الجميلة . والشمس بعيد الغروب . وكان
للسمك يشمل آفاق السماء ويحلق بسلام وجمال صامتين .
و تمت صفحة الماء الممتدة الواحدة ، ساحية كوجه المرأة ، تنمكس
عليها خلال الغروب المتوهجة . والشاطئ الرمل الموحش يمتد
أميالاً إلى أميال كأنه هو جسد تمساح عظيم تحلف من عهد
الظلمات ، وقد تألفت فشرته بألوان راقية لامعة ، وبين يمين

قارنا في صمت على شاطئ الهوى الصريح الحريان الذي تكتنمه
 مستعمرة من أوكار الطيور . وثبتت سمكة كبيرة الحجم على
 سطح الماء ثم انحلت . وقد عكست على جسمها المنحجب ألوان
 السماء جميعا . وقربت إلى في لحظة من الزمن ذلك المنظر المتعدد
 الألوان ، الذي تخفى وراءه دنيا مهيئة بمسرات الحياة . لقد
 وثبتت من أعماق مسكنها الخفي في حركة راقصة جميلة . واخضعت
 موسيقاها ، إلى المورميق الصامتة المبعثة من اعقاب اليوم
 المنصرم ، شعرت كأنني أتلقى لها بها تحية أخوية من عالم آخر .
 وقد صمت فلي بوميض من السرور . وعلى حين غرة صاح
 الرجل الخالس على سكان السمينة في لهجة تنم عن الأسف وقال
 بالهامس سمكة كبيرة ! لقد تمثل بظرفه صورة السمكة وقد أمسك
 بها وهيئت أمامه للعشاء . انه لا يمتار إلى السمكة إلا من خلال
 زجاجاته الداتية ، لذلك فقد حقيقه وجودها ولكن الأساس
 يحاق حسونا بحسب . ان له صورة روحية يطمح اليهودي صورة
 الحق بأكل مجايه . وهذه يستمد سروره لأسمى يدانه يمحيط له
 عن أبدا أهوار الوحدة التي أصل منه وبين ما يحيط به ، وليس
 سوى رغبات الشخصية التي تمدى بتحقيق المثل العليا في موسى
 وتقف حائلا بينا وبين مقدار وعينا ، ونكسر من حطيتنا التي

هي الخائل بيننا وبين الله وتقر الشقاق وطمين لاستثناء والحرمان
فأعطيت ليدت عملا لحب ، ولكها مظهر من المظاهر التي تصور
الحياة في صورة محدودة . ونرى أن أعمد هي الحق النهائي وإنما
لما شئت ، واحد في جوهره ولكن كل ما يعيش لوجوده الفرد
بذلك فاني أعود فأكرر انما لا نستطيع أن نأخذ صورة
صادقة عن الانسان الا إن كنا نحبه . وان الحكم على المدنية
وسكافاتها لا تكون بمقدار ما نخرج من قوه ، بل بمقدار ما تشتمل
عليه وما تفرع عنه منوايها وأظلمتها ، من الحب الانسانية . ان
السؤال الأول والأخير الذي يطالب بالاجابة عنه هو : كيف ندرك
الانسان كروح لا كآلة صماء ؟ وحيثما سقط مدنية قديمة إلى درك
الامحطاط ونزول من اوجود ، فمن ذلك لا يكون إلا بأسباب
ترجع إلى جهود القلب ، وارتخاص قدر الانسان . وحيث بدأت
حكومة أوجعة قريبة من نبي الانسان تنظر إلى الناس كأهم آلة
سحر لقوتهم ، وتسوق الاسم الصميفة عن إلى السودية ، وتداول
أن تقوم أي الحصيص بشق الوسائل ، فان الانسان ينشبت
بدعائم عظمت ، ووجهة للحرية والعدالة . أن المدنية لا تعيش حل
أكل لحوم البشر أيا كان النوع الذي يمرى إليه . فان الانسان

لا يكون اساءة حق الا اذا غدى بفداء الحب والمدالة لاشيء
آخر .

وما يقال عن الانسان يقال عن الكون ، فمن إذا نظر .
إلى العالم من خلال رعباته ، صغره ونصيف رقيقته ولا يستطيع أن
يدرك حقيقته السكاملة .

ومن الواضح الذي لا شك فيه أن العالم محدود و يؤدي
حاجتنا ، ولكن علاقتنا به لا تنهى عند هذا الحد فمن ثم
به علاقات أعمق وأصح من صلات الضرورة . إن روحنا تجذب
إليه ، وحبنا للحياة هو في الحقيقة يسر من رغبتنا في أن نواصل
علاقتنا بهذا العالم العظيم وهذه العلاقة هي علاقة الحب و
الحس بالسعادة لوجودنا في هذا العالم . وإنما لم نعلم به حيوط
لا حدود لها تمتد من هذه الأرض إلى نجوم السماء ، ويحاول الانسان
بفجأة منه أن يبرهن على سموه عما يتصور من الانفصال الكلي
هائليته عالم المدة ، لحظة به ، وبهذه عدوه الألد ، ولكنه كلما
ارتقى في العلم وحده أنه من الصعب عليه هذا الانفصال
ومرغان مانحة في عنه تلك الحدود التي تصورها ووضعها لنفسه ،
الواحدة تلو الأخرى . وكلما قدما سمات مميزاتنا السكاملة التي تهب

انسانيتنا حتى الانفصال عما يحيط به ، خدمتنا الصدمة التي تعمى
إلى إذلالنا . إلا أننا يجب أن نحضن لذلك .

وإذا وصفت كبرياءنا في عرض الطريق الذي نتحقق فيه
مستبشاً ، لنخلق احتلالاً وانفصالاً ، فاسم ولا شئ سنهار تحت
عجلات الحق ، عاجلاً أو آجلاً ، ولهم الرعام . كلا . إلا الروح
تحت عبء عظمة جسارة ، لا معنى لها في انفصالها المعزول . واهل ما
يدري قدرنا إلى أحد حد أن نعيش في عالم أقل منا كثيراً من
الوحدة الروحية . ومن القبيح سائر وما يحيط من قدرنا أن يحف
سائر ويخدمنا عبود رقاء آباء الليل وأطراف المهر . منذ ولادتنا إلى
المحظة التي نموت فيها . ن الأمر على القبيض ، هذا العالم ربهما
إن لم يكن نحن وهو شيء واحد

لقد عرفنا شدة العلى وحده العالم ، وأفقنا لنا وهو شيء
واحد . وأصبحت هذه الفكرة واضحة واقفا . وسين يصير إدراك
كأن هذه الوحدة أكثر من مجرد شيء وكبرى ، ويسلج سائر كيما
عن وعى يشعوره على كل شيء ، يتحول إلى سرور بهج ، وحس
شامل . ان روحنا تحت نفسها الكبرى في العالم أجمع . ونتملى
يقيناً بأمرها خالدة . ولأنها تموت مائة مرة في سجن النفس ، إذا

أن الاتصال يؤدي إلى الموت ولا يقودنا للخلود . ولكن روحنا
لن تموت حيث نكون هي والعلما شيئاً واحداً . لأن في ذلك
حقيقتها ، وجورها . وإذا أحس الإنسان في روحه توقيف ثم
الحياة الروحية التي تشمل العالم كله بتحرر ، ومن ثم يتقدم نحو
حمل الزفاف الخفي الذي يقوم بين عروس الحياة الجميلة المحيطة بقاع
الخمود المتعدد الألوان . وبين (الباراماتم) الرئيس في ثيابه
الناصرة التي لا تشوبها درة من تبار ، فيعرف أنه شريك في هذا
المهرجان الخفي ، وأنه ضيف أشرف في حمل الخلود ويستطيع أن
يدرك معنى قول الشاعر النبي الذي يتفق بقوله « إن الحياة تولد
في الحب وتعيش في الحب وتسير نحو الحب وتدخل في الحب » .
في الحب تظهر متناقضات لوجود جميعها ثم تختفي ، وهي
الحب وحده تنجلي الوحدة والازواج بغير احداً . « الحب واحد
وهو اثنين في وقت واحد .

والحب وحده حركة وراحة في وقت واحد . وما زال قلبنا
يتحول ويتغير في قلقه حتى يجد الحب فيظهر براحته ، ولكن
هذه الراحة نفسها تعد صورة قوية من صور النشاط . يجتمع فيها
الهدوء ، التام والنشاط الذي لا ينقطع في نقطة واحدة وهي الحب .

وفي الحب نحتصم الحساد قذالرح ، وفي ميرايته يكتب حساب
الدين والقرص في عمود واحد ، ونضاف الهبات ، في الأرباح .
وفي حفل الخليفة الرائع ، ذلك المهرحان العظيم القائم على نصحية
النفس لله . يهب المحب نفسه ليستعبدها في الحب ، ولا شك أن
الحب هو الذي يربط بين ترك الشيء والحصول عليه .

في أحد طرق الحب ما هو شخصي ، وفي الطرف الآخر ما
ليس شخصي ، وفي ناحية منه نجد التخصيق الإيجابي في قوالب .
هأنذا . وفي الناحية الأخرى الانسكار الشديد في قولك ، لست
أنا ذلك ، كيف يكون معنى الحب غير هذه الذاتية ثم كيف
يكون الحب هذه الذاتية .

وليس الأمر والتحرر بحصين في عالم الحب . لأن
الحب حر إلى أقصى حد ، ومقيد إلى أقصى حد . وإذا أراد الله
أن يكون مطلق الحرية له وحدته الخليفة . من الكائنات اللاهائي
يجمع في نفسه أسرار اسمية . وهي اسميه الحب رى المحدود وغير
المحدود شيئاً واحداً .

كذلك إذ تحدثنا عن التسمية لحرية وغير الحرية ،
فإن قولنا لا بعدو التلاعب بالأنفاظ . نحن لا نريد الحرية بحسب

وإنما تريد العبودية كذلك روحانية الحب العامية ترحب بمائر
الحدود تم تتخطاها . وليس في الوجود شيء مستقل كالحب .
وانى لما أن نجد استقلالاً كذلك الاستقلال ؟

من العبودية لتتعلق في عالم الحب كالحرية على حد سواء .
وقد أشارت ديانة (العاشقا) في شجاعة إلى أن الله قيد
نفسه بالإنسان ، وفي ذلك أكبر محدود للإنسان . وفي سياق الحسن
العجيب المبعث من الحدود يجعل نفسه في كل خطوة من خطواته
وكذلك نجد أنه يهب حبه في الموسيقى في أتم صفات الجمال .
والجمال هو وسيلة لاستمالة قلوبنا . وليس له معنى غير ذلك .
وأما لبشير إيماننا في كس موصح ، أن مطهر العوة ليست معنى الحقيقة
الأخير . فما دام في الوجود شيء من لون أو بشرة من نغم ، أو
قالب لدورة فإن صوت الحب يسمع لا محالة . وإذا كان الجوع
يجبرنا على أن نمرل تحت مشيئته فإن الجوع يفسد الأمر الأخير
في حياة الإنسان . وقد رفض الخصب لأوامره أناس بحزم وعزم
لعلوا أن الروح الإنسانية لا تنحصر بضغط الحاجة وتهديد
الأم .

ومن في الحقيقة إذا شئنا أن نحيا حياة الإنسان ، يجب أن

مقاوم مطامه في كل يوم . من أصره إلى أكبر شأن في الحياة .
إلا أن في الحياة من ناحية أخرى جحلا لا يمس حريقنا بأهانه .
ولا يرفع حتى أصغره الصغير ليثير لنا إلى سلطانه . وانا نستطيع
أن نجعله كل الجبل ولا ينام عقاب . لأنه نداء وليس تأمر . وانه
يسبح عن الحب في أعماق همونا .

والحب لا ينال بالإكرام . وليس الالتزام في الحقيقة هو الدعوة
الأخيرة للإنسان . ولكن المرور . المرور في كل ناحية من
وإحدى أحياء . يتجلى لنا في احمرار الأرض بالحشيش . وفي
ورقة السهم الحادثة . وفي حشاش اربيع وحرارته ، في نفث الشئ
الأشيب ، في اللحم الحلي الذي يجلبه كياننا الحسي ، وفي الصورة
الإنسانية ، وما تحمل من كرامة واستقامة ، في بحصيل العلم ، في
مخارطة الشر ، في الموت في سبيل ملاحية لأنفسنا شيئاً من ثماره
إن السرور كأن في كل مكان . وإذا كان شيئاً خرافياً . أو أمراً
لا ندعو إليه الحاجة ، فإنه يحال أشد ما ندعو إليه أحكام
الضرورة اللازمة في عاب الأحياء ، ولقد وجد لي ما أن قيود
القانون لا تفسر إلا بالحب وإيهما كالجسم والروح . والسرور هو
إحفاق الحقيقة المثلى في الوحدة التي تجمع بين روحنا وبين العالم ،
وبين روح العالم والمحيط الأسمى

تحقق الحياة في العمل

ان الذين يعرفون أن السرور يعصر نفسه بالقانون هم الذين يعرفون كيف يسرون إلى ما وراء القانون . وليس معنى هذا أن قيود القانون تزول عنهم كلية ، ولكنها تصبح لهم بمثابة الصورة الخسنة للحرية . والروح المتحررة تنتهج بقول القيود ، ولا تنكر في التخلص من شيء منها لأنها تشعر فيها بنشاط لا حده بتغفل سروره في كيان الخليفة .

ومن الحقائق المقررة . أنه حيث تزول القيود . ويظهر جنون الأمانة ، ثلاثي حرية الروح . ويحل بها السوء ، وتنصل عن الانتهاء ثم تقع الخطيئة .

وحيث تنفلت لروح من وثاق القانون بداعي الهوى . تصبح كالطفل الذي يحرم من أحضان أمه . « لا تصرني » ثم تتوسل « أني أمسكني حياط قانونك ، أمسكني حياطاً وظاهراً أمسكني دعني أعيش في نعمة قانونك . وأظن مقبلة بسرورك أحمي بقصصك الشديدة من شهوة الخطيئة الفاتكة » .

وكما يرى بعض الناس أن القانون مناقض للسرور ، فيحطون

شوة الجهور ، فان كثيرين في بلادنا يتصورون أن العمل
ساقص للحرية ويخالون انه ما دام بجانه عالم المادة فانه يعوق
حرية الروح . بيد أننا يجب أن ندكر أن السرور كما يدبره
بالقانون فان لروح تحد حريتها في العمل . ذلك أن السرور
لا يستطيع أن يهرب عن نفسه بنفسه فحسب ، فيبحث عن القانون
الذي يخرج به الى حيز الوجود وكذلك الروح لا يستطيع أن يحد
حريتها في نفسها فنحتاج الى العمل الخارجى .

ان روح الانسان محور نفسها من نفسها بعملها على الدوام .
وقد لم تكن كذلك لم تؤد باحتياجاتها عملا على الاطلاق .

وكما اشتغل الانسان وأخرج الى حيز العمل ما هو كامن
في نفسه ، دأب نحو الشوط الذي عليه ان يقطعه في الحياة . وهذه
الطريقة التي تحقق النفس في العمل ، يحدد الانسان ذابته ،
ويرى نفسه موضح في مظهر يتجدد في صميم بواحي نشاطه
المختلفة ، في العمل الرسمى ، وفي المجتمع ، وهو بهذا المظهر يساعد
على تحقيق الحرية .

ان الحرية لا تدبش في الظلام ، ولا في الغموض ، وليس
تمة أسرى الوجود مثل ذلك الغموض . ان البدرة تعمل جهدها

لتفر من هذا القسوس الخبي ونظهر نباتا . والبرعم يعمل ليهبط
زهرا وكذلك مبحث الأفكار المستقرة في عقولنا على الدوام
لنتحرر من ذلك لذلاف الغامض ، وننتهين لدرس التي نهى .
لها الظهور في صورة خارجية .

و بالوسيلة عينا بمحدد أن روحنا — كي تخلص من ضباب
الامهام ، وتظهر في عالم الوجود — تخلق لنفسها مبادئ جديدة
للعمل ، وتشغل بمحد لتحدد أنواع جديدة من الأعمال ، حتى
ولولم تكن تتاحها في أغراضها الأرضية ، بل ذا كان هذا ؟
هذا لأنها تحس حاجتها الى الحرية ، تريد أن ترى نفسها
وتحققها .

حين يستأصل الامساك العصابة الموبوءة ، ويردع لنفسه
جديدة ، فان الجذل الذي يبعثه من قسحها هو جمال روحه .
واذا لم يعطها هو هذا الجذل المذرجى ، يتعدى عاياه أن يحرقه
من الداخل وهكذا يشتمل الانسان على الدواء لتحرير قواه
بالعمل . بل وحملة وصلاحه وروحه ذاتها .

وكما يحج في هذا المعيار عظمت نفسه في تطوره ، واتسع
ميدان معرفته بها .

ينال في كتاب الانشاد « في مضمار النشاط العمل وحده ، نود لو
 يعيش مائة عام » وهذا قول من كانوا يتدققون سرور الروح
 بأوصاف معانيه . أولئك الذين أدركوا أن الروح لم تتحدث قط
 بسجدة الأسمى والأسف ، عن أشجار الحياة . أو أسر العمل . ولم
 يكونوا في حياة كازهرة التي تحملها سويقة صميغة فتقطع إلى
 الأرض قبل أن تنوي ثمارها . ولكسبهم كانوا يقومون إلى حاش
 الحياة بكل فواهم ويقولون « أيا لا نذهب أبدا حتى ننضج
 الفاكهة » و يودون بمرورهم أن يسبروا عن أنفسهم بكل قوة في
 حياتهم موزة عمالهم . ولا يهزأ بهم لألم والحزن ، ولا يشجعون إلى الرهام
 بثقل قلوبهم بل يتقدمون في الحياة بطلب الرأس الأشم الذي يرفعها
 الطلح ، طمرا . فيروا أنفسهم ويظهرونها في حالتها السرور والحزن ،
 في صدى الروح العظيمة وأن سرور روحهم ليعتمدها جيباً إلى جنب
 مع سحرة ذلك النشاط الدائم الذي يشمل السماء والخدم في سائر
 السكون . ويخرج سرور حياتهم بسرور مشرق الشمس ، والهواء
 الطلق فيجتمع من كل ذلك وحده لحاكمها داخل انفس وحار جها .
 أولئك الذين يقولون « في مضمار النشاط وحده نود لو يعيش مائة عام »
 أن هذا السرور بالحياة ، وذلك الإلتهاج بالعمل هو حقيقة مطلقة

في الانسان . ولا عبرة بأن تقول انه محض خيال من خيالاتنا
فاذا لم نصدق ذلك ، لن نلج الباب الذي يؤدي الى تحقيق العس
ولن يتيسر لنا أن نحقق اللاهية في هوسنا بعيداً عن دقة العس .

وليس من الحق في شيء أن تقول إن الانسان انما يعمل
مُسوقاً بمحكم الضرورة الملحة . فإنه إذا كان كذلك اضطرار . فـ
هالك سروراً كذلك . فالعمل يحمز اليه الحاجة من « حية » .
وينفع طريقه الطبيعي من الناحية الأخرى

لذلك نجد أن المدينة لاسياسية كما ارتقت رادت معاشات
الانسان . وتزايد العس الذي يحلله له طائفاً مختاراً . وقد يظن
الانسان أن الطبيعة قد أعطته من الأعمال ما يكفي حتى لما
لأنها اسوفه الى العمل بسوط الجوع والعطش . ولكن
الأمر على خلاف ذلك . فإن الانسان لا يكتفي بهذا ، وأ
لا يستطيع أن يظل في حياته تنوعاً بأن يقوم بالعمل الذي تقرر
له الطبيعة كالطيور والوحوش . وأنه يرى ان شحطها جميعاً
حتى في ميدان النشاط العملي . وليس بين الخلائق عامة ما يحتاج
الى العمل كالانسان فهو مدفوع إلى أن يهيئ لنفسه مياداً
واسعاً في المجتمع . لذلك لا ينفك الى الأبد يسى ويهدم ، ويضع

القوابين وتمحوها . ويخلق الأكداس المكسدة من المواد .
ويفكر ويبحث بهير انقطاع . متحملاً شتى المتاعب . وأنه
لتناسل في هذا ابدان أشد نصال . ويحتسئ لنفسه حياة جديدة
على لدواء . جاءلاً له من الموت مجداً . وإياه ليحصل إعجاب
النصب المتحدد طائفاً مختاراً . ولا يفكر في نجيب النصب وقد
تحتق أنه لا يعيش في سجن مطلق في قصص ، يحيط به مباشرة
وأنه ككر من حاصره . ومرباً أن وقوفه حامداً في مكان واحد
لا يبرح عنه قد يكون فيه راحة له . ولكن وفوف الحياة لاشك
يهدد البوطية الحقيقية التي حلق بها ، والفرص الصحيح
من وجوده

أن هذا الخراب الكبير « ماهاقي » فيها شئ « أمر يبروه » .
وعلى ذلك « أنه يعمل و يحصل المتاعب ليمال الخفوة في تحطى
حاصره ، حتى يكون مائماً كده بعد . وفي هذا النصب عهد الأساس
ولمعرفة ذلك لا يفكر في أن يصع حداً ابدان عمه . بل أنه ليشغل
بمه دائماً توسيع نطاقه . وقد يذهب حيداً في بعض الأحيان
حتى أن عمله ليفقد معمه . وإياه ليخلق بالدفاعه ها وهناك
أعاصير عجيبة تدور عواصفها في دوائر مختلفة . تلك أعاصير

الاهتمام بالنفس والاعجاب بالقوة إلا أن التيار مادام لم يفقد قوته فلا خوف من ذلك . لأن عوائق نشاطه والموانع لحثة فيها تتبدد . وتصحح القوة أخطاءها . وإنما ينال أعداء الروح سلطانهم عليها . حيث تنام وتركد . فتصيح تلك العرائيل عوائق شديدة الأثر ، لا يمكن مقاومتها ، كذلك وعظمتا مطبورا : تأتي يجب أن نمش لنمسل ، ويجب أن نسل سبيش . وإن الحياة والنشاط العملي لا يفرقان

وبما تنقسم به الحياة في صميمها أنها لا تكمل في نطاق الداحي فحسب بل يجب أن تظهر في العالم الخارجي وتؤكد حقيقتها دواليك بين الداحل والخارج . وإلى يعيش الحسد يجب أن يحفظ على علاقاته الخلقية بالبور والهواء . فإخراج . ولا يكفيه أن يقال قوة الحياة فحسب بل يجب أن يظهرها ويؤكد . تصور كيف يستقر الجسم إلى أقصى حد مختلف أنواع نشاطه الداخلي . ودقات قلبه يجب أن لا ينقطع عملاً . وهذا ليس كافياً . فإن الجسم لا يبدأ لحظة واحدة في حياته الخارجية . فهي تقوده إلى رقص متواصل بين العمل واللعب . ولن يستطيع أن يقف عند محيط عمله الداخلي . فإنه يجد طريقه إلى السرور ، في زهاته الخارجية .

وكذلك الروح . فأنما لا نستطيع أن نعيش على أحسن ما فيها ،
وتصوراتها الداخلية . بل هي على الدوام في حاجة إلى صور خارجية
لألسي تشبع بها وعيها الداخلي حسب بل لتتصنص نفسها في
نطاق السبل . لا لكي تبال حسب ، بل لكي تتعطي كذلك .
والحقيقة الصحيحة ، هي أنك لا تستطيع أن تعيش إذا جزأ ،
الحق في ذلك . وجهه من حرايز ، ويجب أن يعيش معه في
الدخل كالعيش معه في الخارج . وفي أي الخابن أكرهه غشيت
أنفسا وتعرضنا للحصار . ان براهما م يتركى ، وادن فان أترك
برهما ، وإذا قلنا اننا نريد أن ندركه داخل أنفسنا حسب
ومجعله عمول عن حياتنا الخارجية ، وأننا نريد أن نتمتع به
بالحب الكائن في قلوبنا ولا سندنا بالأعمال الخارجية عنها ،
أو قلنا بالنفص وأننا كاهلنا ساحية واحدة من الناحيتين في
محمنا الطويل عن كنه حياتنا ، فأنما في الخاتين على السواء
نخرج للفرط إلى الدرك .

في القارة الأوربية الكبرى لاسمى الروح ، الاساحية الظهور
في الخارج ، فيدائها هو الميدان الخارجي ، الذي تتدرب فيه على
شجد قوتها . وانما لتتصق بالدائم الظاهر . وتود لو ستمزل ميدان
نوعى الباطن . بل لا يصعب عينا أن تؤمن به . وهو مع ذلك

ميدان السكّال . واسم السكّال في ذلك الى حد بعيد . حتى ليخال
أن تمام السكّال لا وجود له فيها على الاطلاق .

فذهابها العلمية تتحدث على الدوام بتطور العالم الذي لا ينتهي
أند الأبدن ومذاهب الروحية تتحدث عن تطور الاله نفسه .
ولهم لا يسلمون أنه كائن محب ، بل يريدون أن يقولوا إنه
في سبيل التكوين .

لهم لم يستطيعوا أن يدركوا أن اللاهائي ، هذا كان أكبر
من أي حد معين فانه كذلك نام . وبين راحها هو التطور كما أنه
السكّال وهو روح باطنه من ناحية وحلق ظهر من ناحية أخرى .
يجمع له الخالان في وقت مما . كالأغنية والتلحين . ولهم في
هذا كن يجهل وعي المغي ويعترف بجودة الفناء . ويسكر الأعتية
وما لاشك فيه ، أن معرفته مقصورة على الفناء ولم يكن لنافي يوم
ما معرفة بالأعتية كمن عام . ولسكن ألم سكن يعرف على الدوام
أن الفناء السكّال كائن في نفس معيه ؟

وقد أصبحنا نحس شوة القوة في سماء الغرب لمداهم في
سبيل العدل . وسعيتهم وراء الفائدة . وإيه يبدو أن هؤلاء القوم
قد اعلموا أن يعنمو كل شيء بعمل القوة ، ويحملوه في حودتهم

و يصرون على أن يكونوا هم العاملين الذين لا يستحقون من عملهم .
ولا يسمعون حتى لصوت يارب يحتل مكانه في مجرى الأمور
و يحلون حال الكمال

أما الخطر في بلادنا فيحرق من يقبض ذلك . نحن متعلق
بالعالم المادي و نود لو نبذل « حقتار ميدان القوة والتوسع » . نريد
أن نترك براهم في صورة الحكامة التأمل بحسب . ولا نفكر
في أن نراه في مظهره الخارجي في معتك الحياة . لذلك نجد باحثين
على الهوام من نشين بحمر الروح و « وراهها من الانحدار » . وأن
عقيدتهم لا تقبل قياداته نون ماي حال . وأن حياهم ليحقق « مير
حدود » . و يرون أن من الزاوية هم أن يقدموا أي دليل مطلق على
ما يعملون . وهم يحاولون « بشا أن يصلوا ببرها سيداً عن مخلوقاته
و تحاول قلوبهم أن تندمج فيه مشكلاتها وهي « ملحة احساسات
عواطفها المنتشية » . ولم يتركوا لهوسهم محلا لكي تزن ما نحس
من القوة ومن الأخلاق التي يحررها الإنسان ، يجعلهم قيود
القانون . ودواعي العمل في الحياة الخارجية .

وسكن للروحية الصحيحة كما كانت معروفة في حكمة
المقدسة ، تتوازن بقوة ارتباط الداخل بالخارج . إن الحق قاهر

وله سروره كذلك . وقد أشد في ناحية من نواحيه أن من خوفه
تتحرق النار ، وفي الناحية الأخرى من السرور حلفت صائر الأشياء
أن الحرية لا تنتل الا بالخصوع للقانون لأن براهما مرتقط بحقيقته
من جانب وحر في سروره من اجانب الآخر شأننا نحن ، دننا
لانفال سرور الحرية الا بالخصوع التام لقيود الحق . وكيف
يكون ذلك ؟ يكون ذلك كما يكون الحيط المشدود الى لقيثار .
أنه اذا احكم شد لقيثار حتى لا يبقى أى ارتجاء ، في هذه الحالة
رعداء ، تظاهر الموصيق ، ويحد انديط وهو يرتفع بأفهامه . في كل
وتر من أوتاره ، حريته الصحيحة وذلك لأنه مفيد بذلك القواعد
الحكمة السريعة من ناحية . ولكن يستطيع أن يجد بجهه من
الحرية في الموصيق من ناحية أخرى . أما إذا كان الحيط غير محكم
فأنه لا يعدو أن يكون وثاقاً . ونى يكون حل وثاقه الطريق
الذى يؤدي الى الحرية انى يستطيع أن يثاء ، تاكل معانيها
إذا أحكم ذلك الوثاق إلى أن يصل إلى مكانه الصحيح .

إن أوتار الثاث والقرار ، في واحساننا لا صدور أن تكون
نيوداً اما ما لم يحكم شدها بما يقتضيه قانون الحق وليس في
مقدورها أن تدعوا باسم الحرية إذا فقدت وتلاشت في مراع الجود .

لذلك أريد أن أقول أن السعي الصحيح للوصول إلى حقيقة
 دهرما . ليس في إهمال العمل ، ولكن فيما بذله من جهد في
 شد أوتاره شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى الوحدة الخالدة . ويتبين
 الصبر الذي يدل على هذا الجهاد في قوله « مهم » . لكن الأعمال التي
 نعملها ، قاصداً إلهاماً ومعنى ذلك أن الروح تهت نفساً ليرى
 في كل أعمالها . وهذه ذمة هي أعنية الروح . وفيها حريتها .
 وينتشر السرور سلطانه حين يصير العمل طريقاً نحو راحها .
 وتصرف الروح عن هوائها ، ويتحقق فيها بذل النفس . فينشأ
 السكال وتكون الحرية ، نحول بمسكة الله في هذا العالم

من ذلك المزدوى في ركنه ، يريد أن يسحر بتفسير الإنسانية
 العظيم عن النفس بالعمل . ذلك التعبير الذي لا ينفك عن النفس ؟
 من ذلك لدى يخال أن اتحاد الله والاسان يتم بكنمة مفصلة عن
 تصوراتنا وهو يعمل عن تمثال البرج السوي الذي يمثل عظمة
 الإنسانية ، التي يعمل لها سائر بني الانسان تحت وهج الشمس ،
 وفي العاصمة الموحدة . ليس هذا مدى الحياة ؟ من ذلك الذي يظن
 أن هذه الصلة المفصلة هي اسمى صور الدين ؟ أيها النمل يحمر
 النفس ألم تسمع تتقدم الروح يعترض ميدان الإنسانية الواسعة

برعود تقدمها في مركبتها التي تسير قدما نحو الرق ، وتنحطى العوائق
التي تنفد دورها وهي تشرلواها على الكون . أن الخيال لتسحق
وتفسح الطريق للوائها الذي يعمق بالظاهر في احوار السماء . أن
العوائق والعقبات المادية لتتلاشى لمقدمها ، كما يتلاشى الصواب
عند مقدم الشمس . وإن الألم والمرص والاضطراب لتختفي قبل
ظهورها عند كل خطوة من خطواتها . وتدفع العقبات الكأداء
من طريقها فتدفع عما طرق الظلام ، ويتفتح طريق الأرض
المرهودة بالثروة والصحة والشعرواقت والعلم . وأحد الحق طريقه
لظهور شيء فشيئا . تريد أن تقول وأنت في سياجك العميق أن
مركبة الاسمية ، التي تهز الأرض بتقدمها في أنحاء التاريخ الواسعة
الأرجاء ليس لها من بقودها إلى غيبتي ؟ من ذلك الذي يأتي أن
يلبى الدعاة الذي يندبه للاندماج في مصير هذا التقدم انظر من
هذا الذي يصل به الحنون إلى الحد الذي يجعله يهرب من حشد
الفرح والسرور المبهج ، ويمحى عنه في عقلة السكون ؟ من ذلك
المنحصر في الباطل الذي يحسر على أن يدعو كل ذلك باطلا ؟
ذلك لعالم الحدبل وهذه المدينة التي تشرلواها الاساسي . وذلك
المجهود الأبدى الذي سده الاساس في أغوار الألم ، وفي قم
السرور ، وسط العقبات العديدة التي تعرضه في الباطن وفي

القاهر ليظهر بنجاح لقوته . أستطيع أن تقول إن الذي يفعل عن كل هذا التقدم ، ويظهر وهما من الأوهام يعتمد على الله ، وإن الله هو الحق ؟ من ذلك الذي يقن أنه يتصل بالله باستمرار من الدنيا ، متى وأين ينتظر أن يلتقي به ؟ ما أسد الآفق الذي يريد أن يغير إليه . كلا إن الحسن الذي يريد أن يغير لا يستطيع أن يراه على الإطلاق . يجب أن نكون لدينا اشجاعة الكاشفة لكي نفور في العمل إليه . في هذا المكان فيه . في هذه اللحظة . يجب أن نكون قادرين على أن نؤكد لأبصارنا أننا كما نحققها بالعمل . فإنا كذلك في هوس . نحقق الله ، هوس الهوس . فإذا ما أرمنا من طريقنا صائر العوائق ، بما تبدل من جهود ، ونحوها كل ما يعترض نشاطنا من العناد والخصومة كان لنا أن نقول : إن سروري في عملي وفيه سرور سروري . ونخير من عرف براهما كما جاء في الابدشاه هو الذي ينطق عليه قوسا : أن الذي يتجلى سروره في براهما ، وتصرنه في براهما ، هو الرجل الذي يعمل « والسرور » سير العمل له لا يعد سرورا على الإطلاق . وكذلك العمل بغير الجهد لا يعد عملا . فالجهد معتاح السرور . وعن كان سروره في براهما كيف يقل أن يعيش في جهود ؟ أليس من الواجب عليه أن يمثل مجده وعمله من يتجلى فيه سرور براهما . لذلك فإن من يعرف براهما ، ويجهد

سروره في براهما ، يجب أن يكون سائر مشاطه في براهما أسكه
وشره وكذب عبثه ومنمعة ، وكما أن سرور الشاعر شعره
والعنان عنه والشجاع شجاعته والحكيم محكمته ، يبر عنه
في مختلف نشاطهم ، فكذلك سرور من يعرف براهما في سائر
أعماله اليومية صغيرها وكبيرها في الحق ، في الجمال ، في النظام ،
وفي المنفعة ، يبر عن نفسه في اللاهية

وعلى هذا النحو يبر براهما عن سروره ، ونشاطه المتعدد
الجوانب ، الذي يشع في سائر النواحي ويؤدي الحاجات العظمية
التي تتطلبها علاقته الختامة ، وهذه الحاجة العظمية هي ، هو بذاته
وكذلك يهب معه في شتى الطرق وشتى الأوصاف . أنه يعمل
وإذا لم يعمل فكيف كان يستطيع أن يهب معه . وإن سروره
ليكرس نفسه في خلقته .

في هذا الشأن سوفه يبدو معناه الصحيح ، وفي هذا تكون
مماثلتنا لأبينا ، فيجب علينا أن نهب أنفسنا في مختلف النواحي
والمفرد وفي المفرد^(١) يسمى « واهب نفسه » واهب القوة
أنه لا يكتفي بأن يهبنا نفسه ، فيهبنا القوة لكي نهب أنفسنا نحن

(١) المفرد : من كتب الهند المقدسة

كذلك . لذلك محمد بن الأشعث يسأل في ذلك الذي يؤدي حاجتنا « أن يكفل لنا العقل المانع » أن يمسح حاجتنا انقصوى بأن يكفل لنا العقل المانع ومعنى ذلك أنه لا يمكن أن يعمل ليزيل حاجتنا بل لينحنا الرغبة والقوة التي تعمل معه في نشاطه وفي التدريب على عدم الخير . وهنا يتم المنهج به وحده على التحقيق . ولعقل المانع هو الذي يربينا حاجة ، « سوارثا » ومن أخرى كأنها حاجتنا ويرينا أن سرور يشمل المقاصد المتعددة اقواما مختلفة الدواعي في أعمال الإنسانية فإذا عملنا «رشاد ذلك العقل المانع نظمت جهودنا وسكنها لا تصبح شيئا لنا . لأننا شيء لا نساقي إليه من الحاجة ولكن ندافع الرضاء الروحي ، مثل هذا الحد لم يعد بعد محكاة عماء للجهالة واتساع دميء لأصحاب البدع الحديثة . فأنا يرى فيه « أنه هو في بداية الكون وسهافته » وأنه مصدر الرحي الذي يصدر عنه في عمنا . وأخيرا « أنه لمسالك » ومن أحده ، يتحلى الأمن والتخير والسرور ، أوجه نشاطا جميعا .

يقول الأشعث لا أن العلم والقوة والنمل من طبيعته « ونحن انما نعمل الى فصل السرور عن العمل ، لأن هذه الطبيعة لم تولد

خبيا ، ميموم عملنا غير يوم سرورنا ، لذلك محتاج الى فسحة من
عملنا ، ولشقائنا وتعامدنا لا نجد فسحة في عملنا . ان الهم يحرق
فسحته في تدفق قبضاته . والفيضان في الدلاع لهيما . والزهري
يشمره من أريج ، ولكننا في عملنا اليومي لا نجد مثل هذه
الفسحة . وإذا كان عمما يتغلب علينا وبقرنا مدق لأفقا لا ندع
أنفسنا تنصرف اليه ، وتقبل عليه سرور

أيها الواهب البنا منه ، حين تدولنا بالخبور ، دع نفسك
تشتعل . ليك كالنار ، وتفيض كالنهر ، ونعشق كالزهرة . وامنحنا
قوة نحب بها ، ونحب بها الى الهابة حياتنا ، في مسراتها وأحزانها
في ربحها وخسارتها ، في ارتفاعها وهبوطها . وهننا القوة الكافية
حتى نرى ونسمع صكوكك ، وسنم فيك بكل قوة ، واحمدا ،
نحيا بقوة تلك الحياة التي منفتحة ، وأحد شجاعة وعطى
اشجاعة . هذا توصفنا اليك واحمدا ، طرد عن عقولنا ذلك
التصور الضعيف لدى بعد سرورك أمرا مفصلا عن العمل .
ثقيلا فميحا ، غير متسند . وحيثما يحرق الملاح الأرض الصلبة
سرورك تدفق في حمرة الحب . وحيثما ينقل الإنسان الفساة
المثابكة ويسوى الأرض المتحجرة وينظم لنفسه سكنا ، فإن
سرورك يدها بالنظام والأمن .

قد رسل إليك يا خالق الكون وصانعه . ان تجعل تيار نشاط
صكرك الذي لا ينقطع . يهب كريح الربيع الجنوبية الموجهة
ويندفع إلى ميدان الحياة الإنسانية ، فيبعث روائح شتى الأزاهير
وأصوات عذبات عديدة . واجعل سكون حياتها الروحية وجودها
يساطق بصوت عذب رحيم . وقواها الآخذه في التيقظ والهوض
بشد كمال لا حد له ، في الألياف والأزهار والأنهار .

تحقيق الجمال

الأشياء التي لا نكسبها سرورا إما أن تكون عبث على عقولنا
نحاول أن نتخلص منه بأي ثمن . وأما أن تكون ذات معنى ، ومن
ثم فهي رغبة وحزنية لنا . فأذا ما انقضى معنا أصبحت عبثا على
كاهلنا ، تتحوم حول تحوم إدراكنا لحظة من الزمن كالآفاق
ثم تنصرف . ولا تكون شيء ما مسكا لنا بالمعنى الصحيح إلا إذا
أصبح فيه سرور لأنفسنا .

ويبدو الجزء . لا كبر في هذا العالم كأنه لا يعنى شيء لنا .
ولكن يجب علينا أن لا نسمع أن نطال كذلك لأن في ذلك
تصغير نفوسنا . فقد رعت الدنيا لنا جميعا . وكل ما لدينا من قوة
ينتهي معها إلى الاعتقاد بأننا بمعونته مال إرثنا فيها

واسكن ما هي وطبيعة إدراك الجمال في محال وعيب ؟ هل هي
قائمة على تقسيم الحق إلى أصواء قوبة وضلال وتقدمه اليه في
صورته المختلفة بين الجمال والقبح ؟ إذا كان الأمر كذلك
وجب علينا أن نقر أن إدراك الجمال على هذا النحو من شأنه أن
يقسم سوء الفهم والاختلاف في كوننا هذا . ويضع حدا ما بها

على طول الطريق بين الشيء القائم بذاته وبين سائر الأشياء .
ولكن ذلك ليس بالصحيح ، فإدراكنا غير كامل
من الواجب أن يكون لدينا طريق بين الأشياء المعروفة ، والأشياء
المجهولة . وتتميز بين الأشياء التي تسر والأشياء التي لا تسر .
إلا أن بعض الفلاسفة يرى فيها يؤثر منه : إن الإنسان لا يفصل
أي حجر يقبره على عرفانه . وأن علمه ليحترق كل يوم منطلقة
حديثة ، كما أن يشار إليها في خريطة ، بأنها لم تكن شمس ولن
يتيسر كشمسها على الإطلاق . وكذلك فإن إدراكنا للحال في
شغل على الدوام فتوحه الجديدة . إن الحق موجود في كل الموجود
لهذا فإن كل شيء في الموجود موضوع له ، والحال موجود
في كل شيء ، و إذن في كل شيء ، في الوجود بهما السرور .
كان الإنسان في تاريخه الفار يرى في كل شيء ، ظاهرة من
ظواهر الحياة . وبدأ عنه بانسداد مبرر دقيق فصل بين الحياة
والوجود . وإذا قدم في هذا الميدان أشواطاً بعد أشواط أحد
الميز الذي يحد بين الشيء الحي وغير الحي يحتق شبيهاً عتيقاً
وقد كانت هذه الخطوط الدقيقة الميزة في بدء معرفتنا تساعدنا
على المعرفة فلما تقدم إدراكنا أحدثت في الزوال شيئاً شبيهاً .
وفي الأبنشاد : أن سائر الأشياء تخلق وتعيش في مرور

لأنها في . ولكي ندرك مدأ الخليفة يجب أن ندأ أولا بتقسيم عيز
بين الجيل وغير الجيل ثم نبحث معرفتنا بالجمال بقوة عنيفة
توقف وعينا في سبانه القمري . ونصل الى هسدها بقوة التميز
والتمريق . لهذا كانت معرفتنا بالجمال في مدأها متصرفة الى ألوانه
المرقشة التي تؤثر عليها بخطوطها ورشها لا بقسم . فلما أصبحت
معرفتنا تحول هذا الإحتلاط الطاهر الى موسيقى موحدة الأنغام
قد كما في مدأ الأمر يصل بين الجمال وبين ما يحيط به . ولكننا
في النهاية أدركنا الوحدة التي تنظم سائر الأشياء . فاصبحت
موسيقى الجمال وهي في غير حاجة الى إثارتنا بالضجة العالية ،
وقد مدت القوة العيفة وتحلت قلوبنا بالحق الذي برث
الأرض بوجدته .

وقد حاولنا في دور من أدوار حياتنا ، وفي فترة من تاريخنا ،
أن نضع إمافة معينة للجمال وسجلتها في حيز صيق ليكون
فها روع من الزهو للمحنة المختارة . مادت الى الرخاوة والمالمة .
كما كان الحال مع كهان ابراهيم ، إبان انحدار المدينية المسدية .
حيث انحط إدراك الحق الاسمي ، وازداد تيار انحرافات .
وفي مصر الذي ظهر فيه علم الجمال . ظهر معه عهد الحرية .

فأصبح إدراك الجمال في الأشياء الكبيرة والصغيرة أمراً ميسوراً
وأصبحنا راه أكثر ما يظهر في الوحدة التي تجمع في نطاق
الأشياء المألوفة قبل الأشياء التي تؤثر فينا بتعديدها وهكذا حتى
نصل إلى تصور الرجعية حيث كنا نحاول أن نتجنب كل ما يحمل
سروراً ظاهراً في تصورنا للجمال ، وكان ذلك العمل يتوج بالعقيدة
ومن ثم نستهي في غير مبالاة ، إلى الملائحة في تقدير الأشياء العامة
حتى تصنع لها بالباطل صفة غير صفة العموم . وإذا أردنا الوحدة
أفنا انصومات التي هي سمة سائر الرحيب وقد بين لنا في
العصر الحاضر دليل هذا التأخر في فهم فائدة الجمال ومنه يظهر
أن الإنسان قد عرّب أخيراً أن صيق لإدراكه هو الذي يقسم وعي
الجمال إلى فصيح وجمال . فإذا كانت لديه القوة التي تزيد الأشياء
متصلة عن الاهتمام لشخصي ودعاري الشهوة الحسية ، فإنه في هذه
المخالة وحدها يستطيع أن يرى الصورة الحقيقية للجمال . كما
في سائر الوجود . وحديثه يستطيع أن يرى أن مالا مرسد لا يتحتم
قطعاً أن يكون غير جميل . فإن له جماله في الحق

وهو إذا قلنا إن الجمال موجود في كل مكان ، لا معنى أن
كلمة الصبح يجب أن تمنح من نشأ . كما أننا نكون مطلين .
إذا قلنا أنه لا يوجد شيء اسمه الباطل ، إن الباطل شيء . لا شك

في وجوده ، ولكن في قوة إدراكه ، لا في نظام الكون ، باعتباره
العنصر الذي يخافه . وهكذا يظهر القبح في التعبير المتقوى عن
الجمال في حياتنا ، وفي هذا لإدراكنا المافض للحق . أما استطيع
إلى حد ما أن نضع حياتنا ضد قانون الحق المثل في أنفسنا ، وفي
كل شيء ، ونستطيع كذاث أن مروج للقيح بالتجائنا إلى الناحية
المضادة لقانون الوحدة لأبدى السكائن في سائر الوجود أما في
إحساننا الحق مدرك قانون الطبيعة ، وفي إحساننا للجمال مدرك
وحدة الكون ونحن إذ نعرف قانون الطبيعة فنشر سيادتنا
على القوى الطبيعية ونصبح أقوىاء ، وإذا عرفنا قانون طبيعتنا
الأخلاقية فلما السيادة على أنفسنا وأصحبنا أحرارا . وكذلك كلما
أردت الوحدة في عالم الطبيعة ، أرددت بعب حياتنا من مسرات
الطبيعة ، وأصبح تعبيرنا عن الجمال في الفن أكثر صحة في إحاطته
وأحكامه . وإذا وعينا انعدام الوحدة في روحنا أصبحت إحاطتنا
بالسادة التي تملأ روح العالم إحاطة عامة ، وأصبح تعبيرنا عن
جمال حياتنا وهو يتجه عن طريق الخير والحب ، إلى اللانهاية .
إن آخر ما يجيبنا في حياتنا هو أن نعرف « أن الجمال هو الحق
والحق هو الجمال » يحب أن نحقق العالم أجمع في الحب . لأن الحب
يبدء ، ويموله ويميده إلى احصائه . ومن الواجب أن يكون

لقلوب ذلك التحرر الكامل الذي يمدد بالقوة التي تساعدنا
على أن نقف في بواطن الأشياء ، ونذوقها بتلك اللحظة الحرة
من الأغراض ، التي نغزى إلى براها .

إن للموسيقى هي أنقى صور الحياة . لذلك فهي أقرب طريق
للتعبير عن الجمال بالقالب والروح المتحدتين في نشاطهما

وقد يبدو أن اجتلاء الانتهائى في صور انطباعه المحدودة هو
للموسيقى بمبها . صامتة وظاهرة . فالسواء في الليل تميد مظلومة
المجوم ، وكأس الطفل الذي تأخذه دهشة المذابة بسحر الأشياء
الذي يبدأ في تعرفها ، ثم يرل بعد ويكرر الكلمة الواحدة ،
ويصنع اليها في سرور لا يتقطع . وحين يحلوك الطلام في ليلة
مطلوعة من ليالى شهر يوبه ، وينتشر على المروج ويسطط المطر
حجابا فوق حجاب على هدوء الأرض الزاخرة ، تبدو صمة المطر
الذي يكرر على ونيرة واحدة كأنها خلام الصوت نفسه . وكأن
روعة الأشجار الكثيفة المظلمة والشجيرات الشائكة المنتشرة في
العراء ، كرهوس السامحين شعرها الملوث ، ورائحة الحشائش
الرطبة والأرض المثلثة ، وريح المعبد المرتفع فوق كتل السواد
المتجمعة حول أكواخ القرية ، علامات موسيقية ، تنبعث من

قلب الليل . ونندمج في صوت المطر المتواصل الذي يملأ السماء
لذلك فان الشعراء المطبوعين الذين مدعوهم أرباباً ، يحاولون
أن يبدوا عن السكون بالحان الموسيقى .

إنهم قل أن يرمزوا بالتصوير للتعبير عن الصور والخطوط
المتزحمة والألوان التي تظهر في كل لحظة على شاشة السماء الزرقاء
ولهم عذرم لأن الذي يصور يجب أن يحمل معه العيش
والفرجون وكذلك صندوق الألوان . وأول لمسة يلمسها بعرشته
بينها وبين العكرة الكاملة من شامع . فإذا ما انتهى العمل
وانصرف الفنان . تقف الصورة الأرملة منفردة . حيث تنقطع
عها لمسات الحب التي كان يواصلها الخلق المنان

ولكن انتهى يحمل كل شيء في جعبته . وأن الأنغام
والاشهرت الموسيقية تنصدر من صميم حياته . وليست هي بمود
تجمع من الخارج وأن عكرة وتعبيره لصوان . وكثيراً ما يكونان
توأمين . وفي الموسيقى يكتم القلب عن نفسه « طريق مباشر ،
ولا يحتاج إلى شيء من الخارج

لذلك فان الموسيقى وإن كان عليها أن تنظر حتى تنال كمالها
كأنى من آخر ، هي مع ذلك في كل خطوة تبرز جمال سائر

الوجود . وذلك أن مادة التعبير حتى لو كانت كلمات تعد حدوداً
ولكن الموسيقى لا تعتمد مطلقاً على أى معنى ظاهر فبى تعبر
عن الأشياء التى لا نمر عنها الكلمات .

وفصلاً عن ذلك فإن الموسيقى والموسيقى صنوان لا يفترقان
فإذا انصرف المشد وان غناء يذهب بذهابه .

وان غناء العالم لن يفصل عن صاحبه . فهو لا يأتى من مادة
حرجة عنه أيا كانت . لأنه سروره نفسه في صورة لا تحد . وانه
القلب الكبير بهر برحته وحه اسماء . وأن الكمال ليظهر في كل
حركة من حركات هذه الموسيقى وهو ظهور الكمال فيما ليس
بكامل وليس في أنغامها نغمه نهائية ، وإن كانت كل منها بصور
اللاهائى .

وماذا يحدث إذا أخفقنا في فهم المعنى الصحيح لهذه الوحدة
المنسجمة أليست كاليد تقابل الوتر وسرعان ما تخرج مألديها من
النفات عند لمسه اسرهاى لغة الجمال والدة التى تخرج من
قلب العالم لتصرف إلى قلوبنا

وقمت أمس وحيداً في الصمت الذى يتخلل الظلام وهو
يفى ألحان الأبدية فلما انصرف إلى الوقاد أعمقت عيني وهذه

الفكرة الأخيرة تملأ فكري . وإني لواقف في غيبوبة موسى
وما زال رقص الحياة في جسمى النائم يتابع السجوم جنباً لجنب
وإن القلب ليخفق والدم يثب في العروق . وملايين الذرات التي
يتكون منها جسمى تهتز بنغمات متفقة ، مع أوتار القيثارة الذي
يهتز بيد السيد .

تحقيق اللانهاى

يقول الأندشاد : « إن الإنسان يصبح إنساناً بمعنى هذه الكلمة إذا استطاع أن يدرك الله فى هذه الحياة . فإذا لم يستطع ذلك كانت العظمة للكبرى » ، ولكن ما هى طبيعة الوصول إلى الله على هذا الوجه ؟ لا شك أن اللانهاى ليس شيئاً كسائر الأشياء الممهودة . حتى نستطيع أن نسمى له موضعه الدقيق بين ما نمتلكه فى هذه الدنيا ، ليكون بمثابة حليف عن علينا بالنفوز فى شئوننا السياسية أو الحربية أو المالية أو منارغانا الاجتماعية . إما لا نستطيع أن نصنع إلهاً فى القائمة التى نصنع فيها بيوتنا الصلبة ، وسياراتنا أو رصيدها بالمصرف كما يجب كثير من الناس .

نحب علينا أن نفهم حنفقة الرغبة التى تحتاج فى نفس الإنسان حين تشفق روحه إلى إلهه . هل هى صادرة عن رغبته فى أن يضيف شيئاً جديداً — وإن جاءت قيمته — إلى ماله من الأشياء ؟ كلا ولا شك . إن هذه الزيادة المتواصلة التى نضيفها إلى خزانةنا هى عمل جدمضن . وفى الواقع أن الروح إذا تبعث عن الله

نبحث عن ملاذها الأخير الذي تلوذ به من هذا الجمع المتروك
الذي لا حد له . نه ليس شيئاً إضافياً بحث عنه ولكمه النير
(نقباتنا) الروح الدائمة في سائر المحنوفات براسة . والسرور
الأسمي الذي يمازج كل متع الحياة . لذلك فان الانشاد حين
صلتنا أن ندرك كل شيء في برهما لم يكن يقصد بذلك أننا نبحث
عن شيء واحد في أو نصلح شيئاً جديداً . ه أعرف كل شيء في
المكون الذي يطله الله . وسنمتع بكل ما سيطيت ولا تدع
عقلك يتركز في الطمع في المال الذي ليس لك ه إمت إذا عرفت
أن كل شيء كائن إنما فيص بروحه . وكل ما تناله هوة منه
أدركت اللاهائي في الهائي . والوهد في يهد وعرفت أن
أحداث الحقيقة جميعاً لا تنال معها إلا في الحق الواحد وان
سائر الأشياء التي في حورتك ليس لها قيمة في نفسها بل بذلك
الاتصال الذي يربطها باللاهائي .

وعن ذلك فلا يقال إنها مستطيع أن يحد برهما كما يحد سائر
الأشياء الأخرى أو أنها تبحث عنه في شيء مؤثره على غيره .
أو نسأل عنه في موضع دون آخر

فمنعنا لا نجري إلى حانوت الببدال نشد عنه ضياء الصباح

وحيثما أن تفتح عينا لجدد أعمالنا . وليس إلا أن نهب أنفسنا
لوجد براهما في كل مكان .

لهذا فإن يودا يصعد ، بأن يحرر أنفسنا من سجنها في حياة
النفس . فإذا لم يحل محلها شيء آخر ، أصبح تأثيراً رأ أكثر إحصاء .
فإن هذه المصيبة تصبح وليس لها معنى على الإطلاق ولا يستطيع
أحد أن يتذكر تلك المصيبة بصفة جديدة فضلاً عن أن يتعدها
لها ، وهي فقد كل شيء ، في طير لا شيء .

لذلك فإن عبادتك اليومية لله ، ليست في الحقيقة طريقة
لاحصول على مطالب منه شيئاً وثباتاً . ولكنها الطريقة اليومية
لإحاطة أنفسنا ، وإزالة سائر العوائق التي تعترض وحدتنا ،
وامتداد وعينا بالعسدة والتخير واجب .

وفي الانشاد : دع نفسك تندمج جميعها في براهما ، بدمج
السم في هدفه .

وهكذا فإن معرفتنا بأننا نحاطون ببراهما ، إحاطة مطلقة
ليست مجرد نوع من التركيز العقلي ، بل يجب أن تكون غرض
حياتنا جميعها . وعلينا أن نعي الانتهائي في أفكارنا وأعمالنا .
وليكن تحقيق هذه الحقيقة في كل يوم أيسر منه في اليوم الآخر .

وهي «أنه لا يستطيع أحد أن يعيش أو يتحرك ، إذا لم تكن قوى
السرور اللامني تملأ السماء » فلنحس قوة هذا النشاط اللامني
وليسر به .

وقد يقال إن اللامني بعيد المال . فهو بامسبة اليها كالمعدم .
أجل . ولكن إذا كانت كلمة المال تشمل أى معنى من معانى .
الامتلاك . فإن اللامني حينئذ يكون بعيد المال . إلا أنه يجب
أن نضع نصب عقولنا أنسمى متع الانسان ليست في الملاء .
ولكن في حالة من الأحده الذي لا بعد استحوذا في نفس الوقت
ان مسراتنا المادية لا تترك محالا للذي لا يدرك ، و بها ككوكب
الأرض الميت يس لها ، لا طاق حثير حوها . ونحن حين تناول
الطعام ونشبع جوعنا بعد عمة هذا امتلا كاتنا . وما دام شعنا
لم يتم فلما نشعر بسرور في تناول الطعام . يد أن استمتاعنا
بالطعام حينئذ يمس اللامني في كل حاب . ولكن إذا وصل
إلى النمام . أو عبارة أخرى . حين تصل دعشنا في طعام إلى
الدرجة التي لا تدرك فيها . تصل إلى نهاية سرورها . والحال في
سائر مسراتنا العسكرية أوسع والحد فيها أبعد كثيرا . وفي الحب
الصديق مجد أن الوصون إلى ما يريد ، والحرمان منه يسيران دائما .

حباً إلى حسب . وفي أناشيد الفاشيناء الرقيقة يقول المحب المحبوبة
« أحس أني أبصرت حال وجهك مد اللحظة التي ولدت فيها ،
ولكن عيوني مارلت جدسة ، وكأنا أنا ، قد حفظتك في قبي
ملايين السنين ، ولكن قلبي لم يشع » .

من هذا يتضح أن اللاهائي هو الذي يحدث عنه في مسرتنا
فرغبتنا في التروية بسب رغبة في مقدار معين من المال ولكنها
رغبة غير معينة وأسرع متعب إلى الزوال هي لمسات وقتية
للأبدى الذي لا يدركه الوقت . وتمتدو منسبة الأنسانية في
محاولات الباطلة في أن تمد حدود الأشياء التي لا يمكن أن تكون
بغير حدود . ورغبتنا في أن نصل إلى اللاهائي بربادتنا المكاذبة
في سلم النهائي .

يتبين من هذا أن رغبة روحنا الصحيحة ، هي أن نسمو
على كل ما تستعجود عنه وأنها لتصبح وهي محاطة بالأشياء التي
لدها وتمسها — « إني مرهقة بما أنال . آه . أين ذلك الذي
لا ينال أمد الأبدين »

أنا نجد حيناً نظراً في تاريخ الإنسان أن روح الأباء هي
أعمق الحقائق في لروح الإنسانية . وإذا قالت الروح « أنا لا أريد

ذلك ، لأننى فوق ذلك . « فأبها تعرض عن أسى حقيقة فيها . وإذا
كبرت البنت عن أمها ورائت أمها أصبحت تكبرها من
كل الوجوه . مدتها عنها . وكذلك نحن في تلك من الأشياء .
التي نعرف أننا نكرها . إن من البؤس الشديد أن نرى
أنفسنا على الدوام بأشياء أقل منها . وهذا ما شعرت به « ماريه »
حين وهبها روحها أمتعت في الليلة التي يارح بها المثل . « كانت
« من هذه الأشياء المادية تدعى الوصول إلى الدرجة العليا »
أو بعبارة أخرى هل هي أفزع عندي من روى ؟ فأحاطها زوجها
« أنها ستعيبك في تلك من متاع الدنيا » قدلت في الحال ،
« وإذا ما فعل بها » وهكذا حين يدرك الإنسان تمام الإدراك
متاعه ولم يبق له أى تأثير حادع عليه يعرف أن روجه تسمى
كثيرا على هذه الأشياء ، ويتحرر من أمرها . وكذلك الإنسان
يدرك روجه حقا إذا كثر عن حاجاته . وإن تقدم الإنسان في
طريق الحياة الأدبية يسير في سلسلة طويلة من الرقص والأداء
وليس عبثا عن امتلاك اللام في بصفة فاطمة مجرد قضية
عقلية ولكن عمل لابد أن يحبه . وفي هذا الاختيار سرورنا
ما طر حين يطلق في أجواز السماء بخبر في كل ضربة من جفاحيه

أن السماء لا حد لها . وأن جناحيه لن يستطيعا أن يحملاه إلى ما وراءها . وفي هذا سروره . أما في القفص فالسبب محدودة . وقد تكفيه من سائر اللوحى وتبقى بجميع الأغراض التي يتطلبها الطائر في حياته ، إلا أنها ليست أكثر من حاجاته الضرورية . والطائر لا يستطيع أن يستمتع في نطاق حدوده الضرورية . ويجب أن يشعر بأن ما لديه أكثر مما يمكن أن يحتاجه أو يدركه . وبذلك يمال سروره .

وكذلك ينبغي روحنا أن نحلق في اللاهات به فتشعر في كل لحظة من اللحظات بأن سرورها أكثر وممتلئ حريتها تنافها في احساسها . مجزها عن الوصول إلى غايتها .

إن سعادة الإنسان ليست في أن يحصل على شيء من الأشياء ولكن في أن يهب نفسه لما هو أكثر من نفسه في الأفكار التي هي أكبر من حياته الفردية . أفكاره في وطء والانسانية وفي الله . فاسمها تسهل عليه أن يفصل عن كل ماله به وإن كانت الروح ولا يزال في وجوده يؤس وحشة حتى يجد رأيا عظيما يستدعي كل ماله به ، ويخلصه من كل ما يربطه بمتاع حياته . أن يودا المسيح وسائر أنبيائنا الممجدين يمثلون هذه الأفكار العظيمة

ويعرضون علينا الفرص لأحاطة كل ما لدينا وحين تقدم اليها طاسة النور لتقديم شعرا لا يستطيع أن تأخر عن الهبة .
ونحن أن سرور الصحيح وحرسا بكلان بالاعطاء لأنه يرط
هو إلى هذا الحد بالأسهائي

إن الانسان لم يلع حد الكمال وإن كان في طريقه اليه ،
وهو على حالة الحاصرة ضئيل فدا تصورناه يفت عند حالته هذه
إلى الأبد ، تصورنا أشع جسيم يمكن أن يدور في خلل إسان
أما من حيث مصيره هو لاسهائي وفي ذلك سيبه وحلاصه . وهو
في جاضره مشغول كل لحظة بما يستطع أن يناله . وبما أناه . أما
فما يتعلق بمصيره هو متعش إلى شيء يزيد عما يمكن الحصول
عليه . ولن يقدده لأنه لن يحصل عليه .

إن دائرة وجود تجد مكانها في عالم حاجت الضرورية .
حيث يسعى الإنسان وراء ما يسد رمقه من طعام وما يدفعه من
مفس وفي هذا النطاق نطاق الطبيعة تكون مهمته الحصول على
الأشياء والانسان الطبيعي يشغل نفسه بزيادة ما يملك ولكن مسألة
الحول على الأشياء مسألة جزئية ، تحددها ضرورات الانسان ونحن
لاصل من شيء إلا مقدر ما نتعلمه حاجتنا كما أن النوع لا يقبل إلا قدر
مسته وحملتنا بالطعام هي صلة التعدية فحسب . وكذلك صلتها

بالبيت صلة السكن ونقد من الجمع أن يكون الشيء صالحا لصد
حاجة معينة محب . لذلك فإن حصولنا على الأشياء هو حصول
جبري ، ولا يمكن أن نكون غير ذلك ، وسعيينا في طلبها يعزى إلى
عسنا المحدودة . ولكن الخاب الذي يتجه إلى اللانهاية في
وجودنا لا يسمى وراء القوة . ولكنه يسمى وراء الحرية والسرور
حيث ينقطع سلطان الضرورة ، ونصبح ونلمعنا أن نكون لأن
منال وعملك تكون ماذا ؟ كون شيئا واحداً مع برامها . إذ أن
نطاق اللاهائي هو نطاق الوحدة ولذلك من الالهاد يقول : إذا
عرف الإنسان الله يصبح إنساناً بمعنى هذه الكلمة وهو ما إنما
يصير ، لا يطلب الزيادة . ان الكلمات لا تكون حلاً حين تعرف
معناها ، ولكنها تصل إلى حقيقتها حين تكون هي والفكرة
شيئاً واحداً .

إن الغرب وإن كان قد قل أن يكون معطاه ذلك الذي أعلن
في شجاعة وحدته وأبيه ووصح أنماعه بأن يكونوا كاملين كالله
فانه لم يركن على الإطلاق إلى فكرنا التي نقول بتحادنا بالكائن
اللاهائي . وأنه ليعين ويهم بالكفر أي دعوى نتصمن أن يصير
الإنسان إلها وهذا الرأي الذي يقول بالسمو الكلي ليس بغير شك

ما ينصح به المسيح ، ولعله لم يكن رأى منصوفة المسيحية . إلا أنه يبدو أنه هو الرأى الذى ساد فى بلاد الغرب المسيحية .

ولكن الحكمة الكبرى فى الشرق ، تقول إنه ليس من وظيفة روحنا أن تنال الله ، وأن تحاول الانتفاع به فى عرض مائى معين . وكل ما نتمناه هو أن نتقدم فى اتحادنا بالله يوما عن الآخر . وفى مجال الطبيعة وهو مجال التمتع نكبر بالمطالب المادية أما فى العالم الروحى ، وهو مجال الوحدة فأما نكبر فقد أضاعنا فى الوحدة . والحصول على الشيء كما قدسنا . أمر جزئى بطبيعته محدود بالحاجة الخاصة غيب . ولكن الشيء الكائن قام . لأنه يعزى إلى كليتنا ، ولا مصدر عن ضرورة ، والى مصدر عن صلتنا باللاهائى وهو مبدأ الكمال الكامن فى روحنا .

أحل يجب أن نكون براهما وأن لا نحجم عن إعلان ذلك ولا معنى لوجودنا إذا لم يكن شوق أن ندرك الكمال الأسمى الذى فيه . وإذا كان لنا مطلب لا نستطيع أن نصل إليه ، فإنه لا يعد مطلباً على الإطلاق .

ولكن أيمكن أن يقال إذن إنه لا فرق بين براهما وروحنا المردية ؟ لا شك أن الفرق واضح سمه وهما أوجيلا أو ادعه

ماى امر فانه موجود وتستطيع أن تقول ما شئت من تعبيرات
ولا يمكنك أن تدبر . إن الوهم هذه حق باعتباره وهما . إن براهما
هو براهما . وإنه المثل الأعلى اللاهائى ولكسا لسنا كما نحن فى
الحقيقة . إنما نحن نسير على الدوام نحو حقيقة . ونقدم دائماً
لصير براهما . وفى الصلة بين ما هو كائن وما سيكون القصة
الأبدية للحب . وفى أعماق هذ النوع ينبوع الحق والجمال
الذين يكفلان الخليفة فى سبرها الذى لا حد له .

وفى موسيقى الأنغام المتداخلة الأصوات ، يرتفع هذا النغم
الساير . « سأكون للمحر » وليس هذا بالأدعاء الساطل ، ولكنه
وداعة حقه ، لأنها الحقيقة . إن النهر لا يكون شيئاً آخر . وإن
على جوابه ليظهر كثير من اختول والقيبات والقرى والمدن .
وانه ليستطيع أن ينفع ، مختلف الوسائل ، ويظهرها ويقديرها
ويحمل نتائجها من مكان إلى آخر ، ولكن علاقته بها ليست
سوى علاقة حرثية . ومهما سار فيها فانه يظل منفصلاً عنها ، وهو
لن يكون مديبة أو غابة .

ولكن يستطيع أن يكون ، بل يكون محرراً ، وإن الماء الحار
مهما يقل فله صلة بمياه المحيط العظيم الذى لا يتحرك . وإنه يسير

بين آلاف الصور والأشياء التي يعبرها في طريقه ثم تجد حركته
عائتها حين يصل إلى البحر

فالنهر يستطيع أن يكون البحر ، ولكنه لا يستطيع أن يجعل
البحر جزءاً ورسالة منه . فإذا كان مصمم عن طريق المصادفة صفحة
من الماء . ويدعى أنه قد جعل البحر جزءاً منه . فصرعان ما عرف
أن تبارده ما زال يبحث عن راحته في عمام المحيط ، حيث لا يجد
له شطآن إلى الأبد .

وكذلك روحنا تستطيع أن تكون براعها كما يدير النهر
محرراً . وكل شيء . غداً تلمسه من ناحية من نواحيها ثم تتركه
ونسير ولكلها أن تترك براعها ونسير بعيداً عنه . فإذا أدركت
روحنا صحتها الأخيرة لكي تستريح في براعها فإن حركاتها جميعاً
نصل إلى غايتها لأنه محيط الرحمة اللاهوتية ، الذي تعظم به
حركاتنا التي لا تنتهي . وإن كمال كون الخليفة هو الذي يجعل
لنفسها هذا النوع من الجمال الذي يبرعته في الشعر والقصة
والمن .

إن الشعر لينحاز إلى فكرة ، وهذه الفكرة هي التي تنشأ
وتعبره . وكل حجة فيه لا بد أن تمس هذه الفكرة ، فإذا أدرك

القارىء هذه الفكرة الشاملة فإن قراءة الشعر تفيض عليه بالسرور . ويصح كل مقطع من مقاطعه وهو يتألق بنور الأميات جميعها . ولكن إذا صار الشعر إلى غير حد . ولم يعبر عن الفكرة الكاملة . وكان كل همه أن يعطى صوراً من مصانة الخلفات . فإنه يكون مصحراً ويكون غير مجد في النهاية مهما يكن جماله . وما أشبه تقدم روحنا بالشعر الصحيح . فإن لها فكرة لانهاية إذا ما أدركت ، أصبحت سائر الحركات ولها معنى فيض بالسرور .

ولكنها إذا فصلت حركاتها عن هذه الفكرة الشاملة إذا لم نر الراحة النهائية وكان كل صيغتنا أن نرى الحركة الدائمة ، فإن الوجود يبدو لنا شراً شديداً في بشعته ويندفع نحو خبايا طائشة لا حدها .

أذكر أنه كان لى في عهد الطويلة مدرس كل همه أن يدب على تكليماً يحفظ كتاب المحو في اللغة السنسكريتية جميعه عن ظهر قلب وهو مكتوب بالرموز ، ولم يكن ليشرح لنا معناها . فما كادت تمضي بضعة أيام حتى نالنا الاعياء ولكن لم يكن لنا أن نبدي رأياً على الاطلاق . وهكذا فقد كنا ننظر لدروسنا نظرة

المنشأته ، الذي يحمي دأب الأعمال الحادثة في الحياة ولا يسمح
له بأن يرى الراحة الالهائية للكمال . بينما تنال هذه الأعمال
توازنها كل لحظة في ملامحة وتوافق تام . وانما لفقد كل السرور
بالنظر إلى الوجود على هذا النحو . إذ أننا بذلك نفقد الحق
أجمع . ونحن نرى حركات الراقص فننتصور أنها تسير بمنزلة
مصادفات شديدة في طغيانها . ونسمع الأذن عن الموسيقى التي
تجمل كل حركة من هذه الحركات تتمشى من تلقاء نفسها في صورة
جيدة . ان هذه الحركات انتمشى في موسيقى الكمال إلى الأبد ،
وتصير معها شيئاً واحداً ، حيث تكسر في كل خطوة من خطواتها
شيء الصور التي تخلقها .

وهذه حقيقة روحنا ، وضرورها . وهي أن نسو وترداد على
الدوام في براعها . وتكون سائر حركاتها مواءمة على أنغام هذه
الفكرة النهائية . ويجب أن تهبط كل حلاتها لروح الكمال
اعلياً .

في الأبنشاد قول مأثور وهو : لا أظنى أعرفه تمام المعرفة ،
أو أنى أعرفه ، ولا أخان حتى أنى لا أعرفه .
إننا لا نعرف الالهاتى عن طريق العلم . ولكن ، د كن

لا نستطيع الوصول اليه ، فانه يكون لنا غشاة العدم . والحقيقة
أساسا لا يعرفه وان كنا نعرفه .

ويقين هذا في قول آخر من الأئشاد وهو « عن رايه
ترتد الكلمات حائرة ، كذلك العسكر » ولكن الذي يعرفه
عن طريق سروره ينحصر من جميع الخوف .

أن المعرفة الفكرية معرفة جزئية ، إذ أن ذكاهما ليس إلا
الـ « وأنه حرة » . فحسب ولا نستطيع أن ندعا بمعلومات عن
الأشياء التي يمكن أن تقسم وتحلل وترتب صفاتها حرة الجزاء .
إلا أن رايها كامل وكل معرفة جزئية عنه لا تكون معرفة .
ولكنه يعرف بالسرور والحب . لأن السرور في كماله معرفه
وهو المعرفة التي تشمل سائر كيانات

المعنى يحصل منه وبين الأشياء التي يريد أن يعرفها
ولكن الحب بصورها و يعرف موضوعه . ولذا معرفة مباشرة
لا يداخلها الشك . وهي كعرفتنا أنفسنا إن لم تكن تريد .

لذلك على حد قول الأئشاد « لا يستطيع العمل أن يعرف
براهمه ولا يستطيع الكلمات أن تصفه . فهو يعرف روحنا فحسب
وسرورها فيه ونحبها . أو بعبارة أخرى أساسا نستطيع أن نصل

إليه بالوحدة ، وحدة وجودنا الكامل . يجب أن نكون مع أبينا
شيئا واحدا ، وسكون مثل كاملين .

ولكن كيف يكون ذلك . أن الكمال الهائى لدرجة فيه
فمن لا تزيد شيئا فى براهما . فهو الكمال العرذ ولا زيادة فيه
أو نقصان .

والحقيقة أن إدراك « البارائن » الروح الأعلى المتظلم فى
أعماق روحنا الفردية « نترامائن » يكون فى حالة من الكمال
الكلى ولا يمكن أن يخاله شيئا غير شامل أو أنه يعتمد على قوتها
المحدودة فى بناءه المتدرج وإذا كانت صفت بالروح السماوى كلها
من صفتا فكيف يعتمد عليها كشيء له صفة وصكيف تمتعها
الروح و لقوة ؟

أجل يجب ان نعرف أن فى الباطن من هوذا ذلك الذى
لا يحكمه الزمان والمكان حيث تندمج حلقات التطور فى الوحدة .
فى مكن الروح لنا « انم » يتجلى الروح لأعظم « بارامائن »
كمعلا نهائيا كذلك يقول الانشاد « أن الذى يعرف براهما
الذى هو الحق والوعى الكامل انلاسهائى كئ . فى أعماق الروح
التي هى السماء العليا (سماء الوعى لاطانة) تمتع نكن ما تصبو
إليه همه بالاتحاد مع براهما العالم بكل شيء »

إن الاتحاد قد تم . والروح الأعلى « برامانان » قد اختار
نفسه روحنا عروسا له وقد تم الزواج . ويقول « المانترام » في
ورده الهادي . « دع قلبك يكون مثل قلبي » ولا يتسع المجال في
هذا الزفاف للطور حتى يقوم بدور سيد المهرجان . إن الأيشاء ،
الذي لا يمكن أن يوصف إلا بكلمة هذا . ذلك الحاضر المباشر
الذي لا اسم له ، سيظل هنا في أعماقنا . و « الأيشاء » أو هذا . هو
النهاية العليا (لهذا) الآخر . (وتلك) هي الذخيرة الكبرى
(لتلك) الأخرى . وهي السكن الأعلى (لتلك) الآخر . وهي
السرور الأسمى (لهذه) . لأن زواج الحب الأسمى قد تم في وقت
غير موقوت وهنا تستمر قصة الحب . وذلك الذي نلناه في
الابدية أصبح ينال في الزمان والمكان ، وفي السرور والآلام .
وفي هذا العالم والموائم الأخرى . فإذا ما عرمت عروس الروح
ذلك كل المعرمة امتلا قلبها بالسعادة والراحة .

ومن ثم تعرف أنها كالنهر وصلت الى محيط كما لها من ناحية
من نواحي وجودها ، وما تزال تصل اليه من ناحية أخرى . وهي
من ناحية في راحة ابدية وكال ، وفي حركة دائمة وتغير ، من الناحية
الأخرى . فإذا عرمت كلا الطرفين كشيء متصل لا تنقسم عراه .

عرفت العالم بيقاها بحق معرفتها رب العالم ربا لها . ومن ثم
تصبح عباداتها جميعا وهي عبادة حب وتقدم اليها سائر متاعها
وما تضيق به من الشاق كتجربة لظهار ما يخالفها من حب .
باصمة الذعر لتزال الرهان من حبيبها ، ولكنها مادامت قائمة في
الظلام بمقادها . ولا تزال عنها النقاب فهي لاتعرف حبيبها
وأما تعرف العالم منفصلا عنه . وهنا يكون عليها محل الرصيقة ،
وكان لها في الحق ان تكون ملكة . ومن ثم تترنح في شك ،
وتتجذب في اسي وغم « تمر من مسغبة الى مسغبة ومن نصب الى
نصب ومن خوف الى خوف » .

انني لن اسي تلك الأغنية التي سمعتها لأول مرة في الليلة
البارحة تتردد وسط حفل يجتمع في يوم عيد ، وهي « أيتها النوى
خذني الى الشاطئ الآخر » وأنا لنسمع في موضوعات اعتادنا هذا
النداء نخذ بيدي الى الامام ، وسائق العربية في الهند يغني وهو
يتودع عربته نخذ بيدي الى الامام ، وكذلك البدال المتجول وهو
يخرج بضاعته يغني ، نخذ بيدي

مامعنى هذا النداء ؟ اننا نحس اننا لم نصل الى هدفنا ،
ونعرف اننا مع ما نبذل من جهد مضن لم نصل الى القاية ، واننا

لم نفل حاجتنا . ويظل قلبنا كالطفل الذي لا يقنع بشيء ، يسبح
ليست هذه ، ليست تلك ، ولكن ماهو الشيء الآخر . . ابن
الشاطئ ، الأقصى ؟

أهو شيء آخر غير الذي نحن فيه . أهو الاستراحة من كل
شواغلنا والتخاض من مسؤوليات الحياة جميعها ؟ كلا . اننا
نبحث عن نهايتنا في صميم اعمالنا . واننا لنطلب العبور حتى ونحن
واقفون . وكذلك شفاعتنا حين تنهى من تلاوة الصلوات ، ان
تنوائى أيدينا عن العمل .

إن محبط مرورك في الحق ، وإن هذا الشاطئ . والشاطئ .
الآخر هما شاطئ واحد . وإذا قلت هذا شاطئ ، فمر الآخر
وأخذ يبحث عن شعور الكمال الذي في نفسه ، وظل قاصي ينادى
في طلب الآخر بغير انقطاع . وكل مالى من هذا ، وذلك ،
ينتظر كاله في حبك .

وأنتى تدأب جامدة آتاء الليل وأطراف النهار للوصول
إلى مقر تعرف أنه مقرها . . والأسفاه أن متاعها لا تنتهى مادامت
لا تستطيع أن تقول إن هذا المقر مفرك أنت . وحتى تستطيع
ذلك ستكأنح ويظل قلبها ينادى أيها النوى ، قدنى اليه ، فإذا

ما أصبحت داري هذه دارك . في هذه اللحظة ذاتها ، أسير الى
الامام حتى ولو كنت سيعينا بين جذرائها القديمة . و « أنا » هذه
لا تستريح ، أنها تعمل لتغال ما لا يتفق وروحها على الإطلاق ، ولا
تستطيع أن تمسكه وتستبقه ابد الآبدين . وأنها في نضالها الذي
تناحله لتضع بين زراعيها ما هو للجميع ، وتسيء الى الآخرين ،
وتساءلهم بدورها . ثم تنادي « خذ بيدي الى الامام » فإذا
ما استطاعت أن تقول « أن كل ما أعمله لك ، يبقى كل شيء
كما هو ، وإن كان يسير الى الامام » .

أين التقى بك إلا حيث تكون داري دارك . وأين أنصل
بك إلا حيث يتحول عملي الى عملك . انني إذا تركت داري
فأنتي لا أصل الى دارك وانتي اذا انقطعت عن عملي ، لن أستطيع
أن أنصل بك في عملك . لأنك تسكن في أعماق نفسي وأنا
أسكن فيك . أني لا شيء بغيرك وانك لا شيء بغيري .

لذلك نحن في دارنا وفي عملنا نبتل « خذ بيدي الى الامام » .
هنا يموج البحر . وهنا يقف الشاطئ ، الآخر منتظراً وصولنا اليه
أجل هنا الحاضر الذي لا ينتهي . وليس ثمة له مكان ولا زمان آخر .